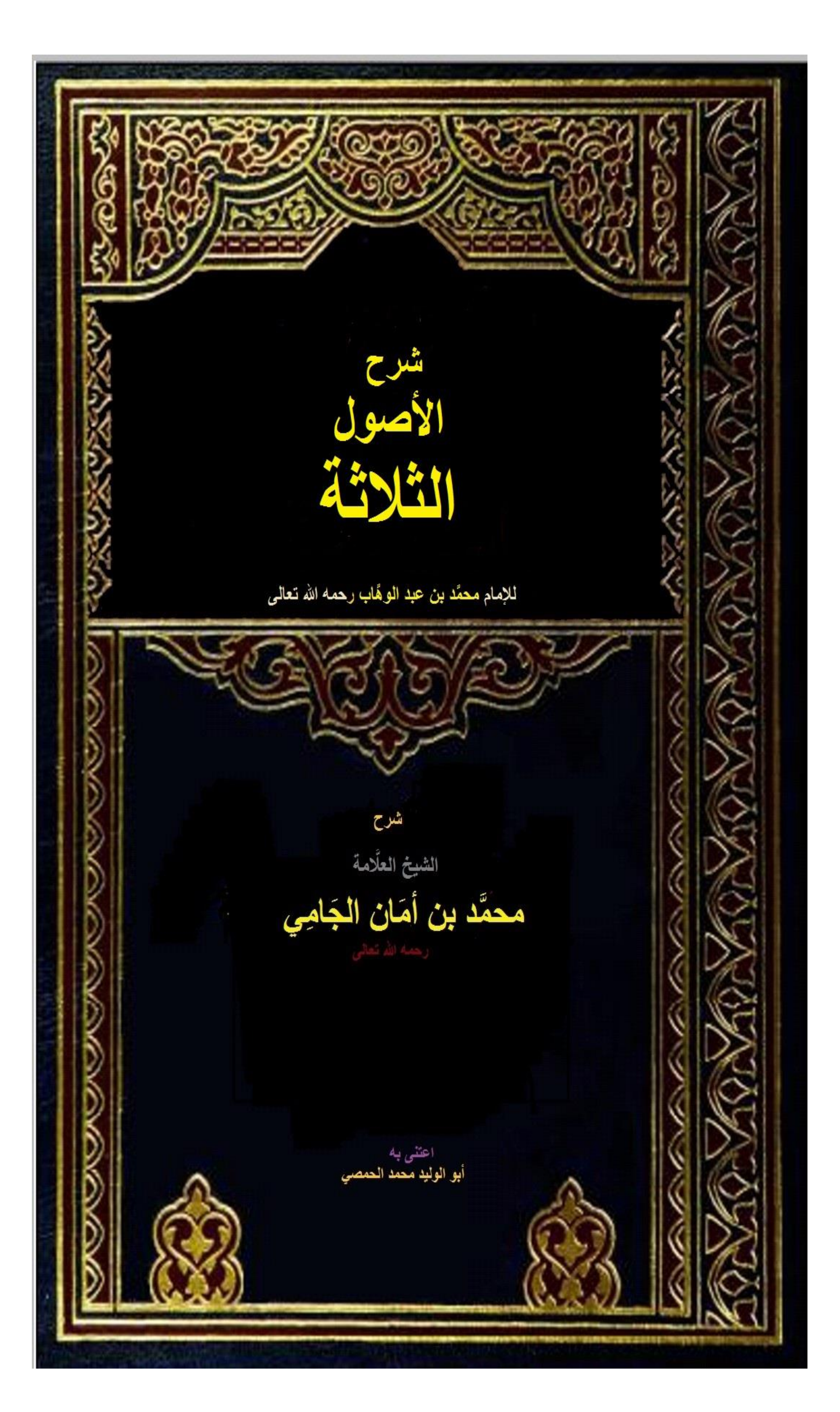

شرح
الأصول
الثلاثة
للإمام محمَّد بن عبد الوهَّاب رحمه الله تعالى
شرح
الشيخ العلَّامة
محمَّد بن أمَان الجَامِي
رحمه الله تعالى
اعتنى به
أبو الوليد محمد الحمصي

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضلَّ له، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمَّداً ﷺ عبده ورسوله ، أما بعد:

فإنَّ أصدقَ الحديث كلام الله، وخيرَ الهدي هدي مُحمَّد ﷺ، وشرَّ الأمور مُحدثاتها، وكلَّ مُحدثة بِدعة، وكلَّ بِدعة ضلالة، وكلَّ ضلالة في النَّار.

فهذا شرح لكتاب الأصول الثلاثة للإمام المجدد محمَّد بن عبد الوهَّاب -رحمه الله تعالى-، قام بشرحه الشيخ العلَّامة محمد بن أمان الجامي –رحمه الله تعالى- صوتياً.

وقد قمت بتفريغ هذا الشرح، وضبطه، وتخريج أحاديثه، وتخريج الآثار التي أوردها الشيخ في شرحه، وعمل فهرس لموضوعاته، وقد ساعدني أحد الأخوة في ذلك جزاه الله خيراً.

وقد استفدت من تفريغ كان موجوداً على النت لأحد الأخوة في موقع (شبكة الآجري).

والله أسأل أن ينفع بهذا الشرح، وأن يَكتب لي الأجر فيه، وما كان من خطأ فمن نفسي وما كان فيه من صواب فَمِن الله سبحانه وتعالى.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أبو الوليد محمَّد الحمصي

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدّمة

إنَ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أنَ لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَ نبينا محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً، **أما بعد:**

فنستأنف في يومنا هذا درساً في العقيدة، ووقع الاختيار على رسالة صغيرة في الحجم، عظيمة في المعنى والعلم، محفوظة إن شاء الله عند صغار طلبة العلم قبل الكبار، ألا وهي الأصول الثلاثة للإمام المجدد، مجدد القرن الثاني عشر محمد بن عبد الوهاب.

وقع الاختيار على هذه الرسالة تحقيقاً لرغبة كثير من طلبة العلم الذين يرغبون حفظ هذه الأصول وفهمها وتحقيقها، والعمل بها، والدعوة إليها، لذلك نبدأ في هذا الكتيب، ونسأل الله تعالى أن يرزقنا الإخلاص فيما نقول وفيما نعمل، فنبدأ في شرح ما قرأ الطالب، وقبل ذلك نعرِّف تعريفاً يسيراً بالمؤلف، والمؤلف مشهور لا يحتاج إلى التعريف، ولكن بالنسبة لبعض صغار طلبة العلم، و بعض الحضور من الذين لا يعرفون عن المؤلف شيئاً، وبناءً على العادة الجارية التعريف بالمؤلف إذا أراد الإنسان أن يقرأ كتاب من الكتب لبعض المؤلفين .

ترجمة الإمام محمد بن عبد الوهَاب (ت ١٢٠٥) -رحمه الله تعالى-

هذا المؤلف الشيخ محمد بن عبد الوهاب ولد في بلدة العيينة في نجد في سنة (١١١٥)هـ، ونشأ في حجر والده، وكان والده من علماء البلد بل قاضٍ في البلد، وعالمٌ مدرس على الطريقة القديمة في البيوت، نشأ هذا الشاب نشأة عجيبة حيث حفظ القرآن قبل العاشرة من عمره، وبلغ الاحتلام قبل الثانية عشر من عمره، ويأتي أنَ والده في هذه السنة رأى أنه أهل بأن يصلي بالناس فقدَمه ليصلي بالناس وهو ابن الثانية عشر من العمر وفي هذه السنة زوَجه ،وعكف الشاب مع دراسته على والده، عكف على دراسة كتب شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم واستفاد لأن الله أعطاه من الذكاء ما وصفه المترجمون له بطريقة غريبة وفذَه، قوي الحافظة ذكي فطن، عكف في طفولته على هذه الكتب مع ما يدرس على والده في الفقه على مذهب الإمام أحمد، ثم تاقت نفسه ليرحل في طلب العلم، لأنه استفاد من هذه الكتب ورأى إن البيئة التي يعيش فيها بيئة جاهلية صرفه، إذ كانت الناس تعبد النخل وتعبد القبور ويعبدون الجِنَّ، جاهلية جهلاء كالتي كانت قبل الإسلام مع الانتساب إلى الإسلام ومع وجود العلماء بينهم، استنكرت نفسية هذا الشاب هذه الجاهلية ولكنه كتمها في نفسه، ولم يتكلم لأنه في نظر الناس طفل لا يستحق الإنكار والقيام بالإصلاح .

أراد أن يرحل في طلب العلم، كأنَّ الله أراد أن يطلعه على كثير من البلدان المجاورة ليرى أن الجاهلية عَمَّت، وليست في بلده فقط، خرج حاجَّاً، فحجَّ ثم جاء إلى المدينة ومكث في المدينة لطلب العلم، وقيَّض الله له بعض علماء الحديث كالشيخ عبد الله بن إبراهيم بن سيف آل السيف، آل السيف هذا كان في الأصل من نجد من المجمعة ، سكن المدينة فصار من أعيان المدرسين في هذا المسجد، وأحبَّه هذا الشيخ كثيراً لما يرى فيه من الذكاء ومن الاهتمام بشؤون المسلمين والإصلاح وإعداد نفسه للإصلاح العام، وقدَّمه لبعض المدرسين في هذا المسجد النبوي كالشيخ محمد حياة السندي والشيخ العجولي والشيخ الإحسائي، عدد من المدرسين، ركَّزَ

الشيخ الشاب في دراسته في هذا المسجد على علوم الحديث، درس الكتب الصحاح، ودرس مسند الإمام الشافعي، ودرس كثيراً، وكان في نفسه بعض التضايق عندما يرى ما يفعله الناس عند السلام على النبي ﷺ عند قبره، وكثيراً ما يقول للمشايخ: أيش هذا يا شيخ ؟! ويقولون: هذه بعض الجاهليات، صَبَر وتعلَّم ومَلَك نفسه.

وذات مرة ذهب إلى القبر لِيُسلِّم، ورأى تعلق الناس بالقبر وتمسحهم بالشبابيك، وكان عند الشيخ محمد حياة السندي، فرجع إليه فقال: ما هذا يا شيخ؟ ما هؤلاء؟ قال: ﴿ إنَّ هؤلاءِ مُتَبَّرٌ مَا هُم فِيهِ وباطلٌ مَا كانوا يَعمَلونَ ﴾ [الأعراف: ١٣٩]، هكذا رَدَّ الشيخ فوراً، وأدرك الشاب بأنَّ العمل مُستنكر حتى عند المشايخ، ولكنهم عاجزون لا يستطيعون أن يعملوا شيئاً.

هكذا قضى برهةً من الزمن في هذه المدينة فتعلَّم، فأخذ الإجازة في الكتب التي درسها على الشيوخ، ثم توجه إلى العراق إلى البصرة، ولكنَّه عرج على بلده في طريقه، ثم واصل سيره لأنه سمع بشيخ عالم محدث نحوي اسمه المجموعي في البصرة، ورحل إليه ودرس عنده كثيراً، واستفاد منه في علوم العربية، وعلم الحديث.

وهنا رأى الشاب بأنه نضج وأنه لابدَّ أنْ يبدأ في الدعوة والإصلاح وإن لم يبلغ مبلغ كبار العلماء، لأنه يرى نفسه أنه طالب، ولكنه طالب مُهيَّأ ولديه ركيزة طيبة من العلم، بدأ يتصل بزملائه، وبعض الشيوخ، وبعض من تعرَّفَ عليهم، ويكتب إليهم الرسائل، وينكر عبادة القبور، وينكر كثيراً من المنكرات البارزة، حتى عُرِفَ بالبصرة مع كونه طالب علم لأنه يحاول الإصلاح، وتأثَّر بطريقته هذه شيخه المجموعي لأنه كان يحبه كثيرا، وكثيراً ما يتأثر الشيخ بالتلميذ إذا كان التلميذ نابغة ورأى فيه أنه ربما هو خير منه، وهذا معروفٌ من قبل كما ثبت عن الإمام الشافعي

أنه كان يقول للإمام أحمد: أنتم أعلم منا بعلم الحديث، فإذا علمتم شيئاً أو بلغكم شيئاً من الحديث فأبلغونا.(1)

في هذا الوقت كان الإمام أحمد تلميذاً عند الإمام الشافعي، وهكذا تأثر المجموعي بابن عبد الوهاب، وأخيراً قامت قائمة الجاهلية من المتصوفة فأُمِرَ بإخراجه، فأُخرِجَ من البصرة إلى الزُّبير، وفي الطريق لاقَى صعوبة حتى كاد يهلك من الظمأ لأنه يمشي على رجليه في الظهيرة، ولكن الله قَيَّضَ له من يحمله على حماره معه إلى البلد، فسَلِمَ ولم يهلك.

فدرس في الإحساء على شيخ شافعي، ثم رجع إلى الشام وتجول في بلاد الشام، ولكن المصادر لم تذكر شيوخه في الشام، إلا أن زيارته للحجاز والعراق والشام والمنطقة الشرقية كلّ ذلك أفادته فائدة؛ زيادة على العلم معرفة أحوال المسلمين، والجاهلية التي عَمَّتْ وَطمَّتْ.

وأخيراً قرَّرَ الشاب العودة إلى بلده للعمل، فرجع فبدأ حياته العلمية في بلده حريملة، ولكنه أُوذي حتى خاف من بعض السفهاء أن يفتكوا به، فخرج خائفاً يترقب، وله أسوة بالأنبياء في ذلك، خرج إلى العيينة مسقط رأسه، وأمير العيينة رحَّب به، والشيخ شرح له دعوته بأنَّ هذه دعوة إسلامية عامة تحتاج منك الصبر، إذا أردت أن تؤازر هذه الدعوة لابُدَّ أن تؤذى، هل تصبر؟ قال الأمير: إنه يصبر، وفعلاً صبرَ معه، وغَيَّر كثيراً من المنكرات، أزال كثيراً من الأشجار التي كانت تُعبد.

أراد الله أن تقدمت امرأة ارتكبت فاحشة الزنا فطلبت التطهير، واعترفت وأَصرَّت على الاعتراف، فأقام عليها الشيخ الحَدَّ، من هنا ذاع صيته وانتشر خبره في المنطقة، واستنكر أُمراء المنطقة هذا التصرف فكانوا يسمونه المُطوع، قالوا: هذا المطوع جاء بأمر جديد، أمر مستنكر، وكان مِن أشدِّهم أمير الإحساء.

---

(1) قال الشافعي لأحمد بن حنبل: ((أنتم أعلم بالحديث والرجال، فإذا كان الحديث صحيحاً فأعلموني إن شاء يكون كوفياً أو شامياً حتى أذهب إليه إذا كان صحيحاً)) طبقات الحنابلة: (٦/١) .

شَدَّدوا على أمير العينية إنْ لم يخرج من بلده هذا المطوع فإنه سوف يحصل كذا وكذا، هَدَّدُوه تهديدا واضطر إلى أن يخرج من بلده، فخرج وتوجه إلى الدِّرعية، كأنَّ الله يَسوق هذه النعمة لشخص آخر غير أمير العيينة، فنزل الشيخ في بيت ابن سويلم في الدرعية، وَعَلِمَ محمد بن سعود وصوله، لأن خبره انتشر في المنطقة كلها، فكان معروفاً بالسماع، ولما عَلِمَ أخذ بعض أصحابه فذهب إليه في بيت ابن سويلم ولم يدعه إلى منزله، فزاره وتعرَّف عليه، وهدى الله الأسرة.

طلبت الأسرة رجالاً ونساء من الإمام محمد بن سعود أن يُؤازِرَ هذا الرجل، وأنْ يتبنى هذه الدعوة، فليعتبرها نعمة سِيقَت إليه، وفعلاً آزرَ الدعوة، وأعلن مؤازرته للدعوة، والشيخ نَصَحَهُ كما نَصحَ أمير العيينة، وَبَيَّنَ له صعوبة هذه الدعوة، وأنها دعوة عامة لا تترك شيئاً من الجاهليات؛ لا في العقيدة، ولا في الأحكام، تجديد عام للدعوة المحمدية، واستعدَّ الأمير محمد بن سعود لمؤازرة الدعوة وتعاهدا، من هنا قام العمل الجادُّ في الدعوة.

أولاً: تطبيق عملي محلي، فصارت الدِّرعية عاصمة للدعوة، يهاجر إليها طلاب العلم لطلب العلم، وللتعبد هناك قرب الشيخ، قرب الداعية المصلح. انطلقت الدعوة من هناك وسارت مسيرتها، وبدأ الشيخ يكتب إلى الأمراء والأعيان في الأقطار يشرح دعوته، وموقفه من الأئمة الأربعة، وموقفه من الصحابة، وموقفه من نصوص الصفات، وموقفه في باب التوسل.

وهكذا بدأت الدعايات التي كانت تعمل ضد الدعوة، أراد الشيخ أن يُخفِّفَها بهذه الرسائل التي كان يبعث بها في الأقطار، هكذا بدأت الدعوة واستمرت إلى أن وصلت إلى هذه المدينة النبوية وعّمَّتْ الجزيرة، ولكنَّ الدعايات لا تزال تنتشر في الآفاق -هناك مذهب خامس، هناك الوهابية، هناك وهناك- ولكن دأبوا و تعوَّدوا على عدم الردود، يسمعون كل ما يقال لكنْ لا يَردُون، يعملون، فصار العمل هو الردّ، أُلِّفَت الكتب ضد هذه الدعوة وانتشرت في العالم، فعرف العالم، أكثر الناس عَرفوا هذه الدعوة على غير حقيقتها، على أنها دعوة مناوئة للأئمة الأربعة

وللأولياء، وأنها لا تحترم رسول الله ﷺ والصحابة، إلى غير ذلك من الدعايات التي أخذت تتبخر شيئاً فشيئاً، إلا أنَّه في مثل هذا الوقت شبه خجل، إذا كانوا يعرفون يخجلون، لأنَّ الدعوة دخلت في مناطق ما كانوا ظَنُّوا أنها تَصِل، في مناطق كانت تسمى مجاهيل إفريقيا، توجد هناك الآن مدارس كثيرة تُدَرِّس نفس المنهج المقرر في المدارس السعودية في المرحلة الابتدائية والمتوسطة والثانوية، وانتشرت في القارة الهندية، وانتشرت في كثير من الدول العربية إلى أن خرجت من الديار الإسلامية، وفتحت لها أبواباً في نفوس الناس، أو فتحت صدور الناس في أوروبا وأمريكا، وانتشرت وعَمَّت لذلك تلكم الهمسات التي تسمعونها الآن هنا وهناك من خلف الأبواب وفي ظلام الليل ضد هذه الدعوة إنَّما هي حركة الشاة المذبوحة، الشاة المذبوحة إنما تتحرك لتموت لا لتحيا، فلتعلموا ذلك ولا تتأثروا بما يقال و يشاع ضد هذه الدعوة أحياناً على ألسنة مشايخ الطرق وعلماء الكلام و المتأثرين بهم والمصفقين معهم، إنَّما هي كما قلت: حركة الشاة المذبوحة لتموت لا لتحيا، والدعوة ماشية بحمد الله تعالى.

ونحن نحمد الله عندما نرى شبابنا في هذا المصير، مصير نحمد الله عليه، شبابنا، صغار الشباب بَدَلَ مِن أن يُفكِّروا في مثل هذه الإجازات ليقضوها في المناطق الباردة، في المنتزهات، في حديقة الحيوانات، وأمثال ذلك في اللعب واللهو، فإذا هم يرغبون أن يقبلوا على الدراسة، وعلى التعبد في المسجدين الشريفين، في المسجد الحرام والمسجد النبوي، ويواصلوا دراستهم غير النظامية فيجمعوا بين الدراسة النظامية والدراسة غير النظامية التي تُدَرَّسُ لوجه الله، واختاروا من بين تلكم الدروس درساً في العقيدة، ونحن هنا ننصح فنقول: ادرسوا العقيدة، وادرسوا الأحكام، وادرسوا فروع اللغة العربية، وادرسوا علوم الحديث وعلوم القرآن، وكل عِلم نافع يكون مساعداً لفهم الكتاب والسنة، لا تُضيِّقوا مجالكم، أو لا تُضيِّقوا مجال

طلب العلم، بلْ وَسِّعُوا وتوسعوا في طلب العلم، وعلى كل مَن تجدون عنده فرصة مِن المشايخ في مثل هذه الإجازة، عليكم أن تنتهزوا فرصة الشباب، وفرصة الفراغ، وفرصة الصحة هذه نعم لا تُعرَف إلّا بعد زواله ، نعمة الفراغ ونعمة الشباب ونعمة الصِّحة ونعمة الأمن والأمان، هذه النعم انتهزوها وأشغلوا أوقاتكم في طلب العلم، فطلب العلم نوع من الجهاد، وأنتم في جهاد طالما تطلبون العلم، بهذا العلم تعرفون قيمة الجهاد في سبيل الله، متى يكون المجاهد مجاهدا في سبيل الله ؟ لو قُتل هناك، تعرفون ذلك بالعلم، **والعلم قبل القول والعمل**.



المتن

بسم الله الرحمن الرحيم

📖 قال الإمام المصنف – رحمه الله تعالى -:

اعلم -رحمك الله -أنَه يجب علينا تعلم أربع مسائل:

1. الأولى: العلم وهو معرفة الله، ومعرفة نبيه، ومعرفة دين الإسلام بالأدلة.
2. والثانية: العمل به.
3. الثالثة: الدعوة إليه.
4. والرابعة: الصبر على الأذى فيه.

والدليل قوله تعالى: ﴿ والعَصرِ ۞ إنَّ الإنسانَ لَفِي خُسرٍ ۞ إلَّا الَّذينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ وَتَوَاصَوا بالحقِّ وَتَواصوا بالصَّبرِ ﴾[سورة العصر].

قال الشافعي -رحمه الله تعالى-: ((لو ما أنزل الله حجة على خلقه إلا هذه السورة لكفتهم)) .[1].

وقال الإمام البخاري -رحمه الله تعالى-: باب العلم قبل القول والعمل، والدليل قوله تعالى: ﴿ فاعْلَمْ أنَّهُ لا إلهَ إلا اللهُ واستغفِرْ لِذَنبِكَ ﴾[محمد:١٩]، فبدأ بالعلم قبل القول والعمل.

---

(١) ذكر الحافظ ابن كثير هذا الأثر عن الشافعي بلفظ: ((لو تدبَّر الناس هذه السورة لوسعتهم)) (٤/٧٠٨) .

الشرح

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب – رحمه الله -:

((اعلم - رحمك الله –)): هذا الخطاب موجه إلى كل قارئ، وكل سامع، وكل من يصلح أنْ يُوجَّه إليه الخطاب.

((اعلم - رحمك الله - أنه يجب علينا)) ليس معنى يجب علينا نحن طلاب العلم، **لا**، يجب علينا نحن معاشر المسلمين، لأنَّ ما اشتملت عليه هذه الرسالة ليس مما يجب على الشباب وعلى طلاب العلم فقط، بلْ مِمَّا يجب على كل مسلم ومسلمة، يجب علينا نحن معاشر المسلمين تعلم أربع مسائل.

((المسألة الأولى: العلم.

المسألة الثانية: العمل بالعلم.

المسألة الثالثة: الدعوة إلى ذلك العلم الذي تعلَّمت.

المسألة الرابعة: الصبر على الأذى في سبيل الله تعالى وفي سبيل العلم وفي سبيل العمل بالعلم وفي سبيل الدعوة إلى العلم))، هذه هي الأربع مسائل.

المسألة الأولى: **العلم**، فَسَّر العلم بالمعرفة، فقال: **هو معرفة الله.**

ما الفرق بين العلم وبين المعرفة؟ لماذا فسَّر الشيخ العلم بالمعرفة؟

المعرفة أَعَمّ من العلم، العلم خاص بما لم يسبق بجهل، لذلك يستعمل في حق الله تعالى العلم، ولا تستعمل المعرفة في حق الله، لأن المعرفة هي المسبوقة بجهل، أي الإدراك المكتسب بعد أن لم يكن.

إذاً بالنسبة لنا يقال له عِلم ويُقال له معرفة، وبالنسبة لله تعالى يقال له العلم فقط، لذلك فسَّر العلم بالمعرفة، فقال: المراد **بالعلم** هنا:

((معرفة الله)): معرفة الله بأسمائه وصفاته، معرفة الله بآلائه ونعمائه، معرفة الله بالآيات المتلوة والآيات الكونية، معرفة توجب محبته سبحانه وتعالى، معرفة توجب خشيته، وتعظيمه، وتعظيم أمره، وتعظيم شرعه، توجب مراقبته تعالى، وخشيته، وفي النهاية المحبَّة، لأنَّ محبة الله تعالى روح الإيمان، إيمان المرء إذا خلا من محبة الله تعالى كالجسد الميت، روح الإيمان محبة الله.

ومعنى معرفة الله سبحانه وتعالى ليست معرفة بالدعوى، معرفة بهذه المعاني كلها وأكثر منها، يدخل في ذلك توحيد الربوبية، وتوحيد العبادة، وتوحيد الأسماء والصفات، كل ذلك وتصديق خبره، خبر الرب سبحانه وتعالى، ويدخل الإيمان بالكتب السماوية، وبالغيب، الجنة والنار وغير ذلك من الأمور الغيبية التي يجب الإيمان بها، كل ذلك داخل في معرفة الله.

((ومعرفة نبيه)): معرفة تبعثك على تصديق كل ما أخبر، معرفة توجب طاعته وتصديق خبره، واتباع هديه، وتجريد المتابعة له، بحيث لا تُعَارِضُ قوله ﷺ بقول أحد، الذين يُعارِضون قول رسول الله ﷺ بآراء الرجال وربما يقدمون آراء الرجال على سُنَّة رسول الله ﷺ، لم يعرفوا نبي الله حق المعرفة، **من عرف بأنه رسول يطاع ولا يعصى، وعبدٌ لا يُعبَد ونبيّ لا يَكذِب، لا يمكن أنْ يُعارِض أقواله وسنته وهديه بأقوال الرجال وآراء الرجال**، وَيدَّعي أحيانا في بعض الأحاديث أنها مخالفة للقاعدة!، من أين القاعدة هذه التي تخالفه أو يخالفها هدي رسول الله ﷺ ؟!.

كل ما يسمى بالقواعد والأصول إنْ كانت مأخوذة من كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، مثل هذه الأصول الثلاثة فهي مقبولة، وكل ما يسمى بالقواعد والأصول التي يؤصلها بعض الناس ويقعدونها مخالفة للكتاب والسنة فهي مردودة، وذلك دليل على عدم معرفتهم برسول الله ﷺ حق المعرفة، **معرفته المعرفة الشخصية ومحبته المحبة الذاتية دون المحبة الشرعية الرسالية لا تفيد**، وهذا شيء يعلمه كل مسلم، وإلا إن بعض الكفار والمشركين كانوا يعرفون أمانته وصدقه، كانوا يعرفون هو رسول الله، وكانوا يقدرونه غاية التقدير ولكنهم لم يتبعوه، ولم يُحبوه محبة شرعية،

لذلك لم ينفعهم ذلك الموقف كأبي طالب كما نعلم، ومعرفة النبي ليس بالأمر الهين، ثمَّ محبته شعبة من شعب الإيمان، من معرفة النبي ﷺ أنْ تُحبَّه أكثر مما تُحِبّ نفسك وأهلك ومالك.

الذي يُحَبُّ لذاته وحده هو الله ليس إلا، ولكن النبي ﷺ يحب لله لأنه رسول الله عبد الله الذي اصطفاه للرسالة العامة ، أما المحبة الذاتية إنما هي لله وحده(١) ، هذا فرق دقيق يجب أنْ يَعلمه طلاب العلم، كل من يحب دون الله إنَّما يُحب لله، ولكن الله يحب لذاته الذي يُحبُّ لذاته هو الله وحده، ومن دونه **بَدْءاً** من رسول الله ﷺ يُحَبُّ لله، لذلك إذا لم تكن محبة رسول الله ﷺ لله، كأن كانت للقرابة أو لكونه عبقري لا تفيد، ولم تُفِد تلك المحبة أبا طالب، ولم تُفِد المستشرقين الذين يُقدِّرونه ويطالبون في تقديره لكونه عبقرياً في التاريخ لا لأنه رسول الله ﷺ، هذا معنىً ينبغي أنْ يتفطن له طلاب العلم.

((ومعرفة دين الإسلام)): معرفة دين الإسلام، الإسلام ﴿ **إِنَّ الدِّينَ عندَ اللهِ الإسلامُ** ﴾[آل عمران: ١٩] ، كل ما أرسل به رسله فهو إسلام، ما جاء به نوح إسلام، وما جاء به إبراهيم إسلام، كلما جاءت به الرسل فهو إسلام، لكن أصبح الإسلام أخيراً علماً بالغلبة على ما جاء به خاتم النبيين محمد ﷺ، لذلك إذا أطلق الإسلام، عند الإطلاق ينصرف إلى ما جاء به محمد رسول الله ﷺ، ولكن عند التحقيق كل ما أرسل الله به رسله إلى الناس **بدءاً** من نوح إلى خاتمهم وإمامهم محمد ﷺ، كل ذلك إسلام ﴿ **إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللهِ الاسلامُ** ﴾[آل عمران : ١٩]

---

(١)قال شيخ الإسلام ابن تيمية: بل لا يجوز أن يحب شيء من الموجودات لذاته إلا هو سبحانه وبحمده فكل محبوب في العالم إنما يجوز أن يحب لغيره لا لذاته، والربّ تعالى هو الذي يجب أن يحب لنفسه، وهذا من معاني إلهيته ﴿لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا﴾ فإن محبة الشيء لذاته شرك فلا يحب لذاته إلا الله. [مجموع الفتاوى (٦٠٧/١٠)]

قال العلامة ابن القيم: وليس في الوجود ما يحبّ لذاته ويحمد لذاته إلا هو سبحانه، وكل ما يحب سواه: فإن كانت محبته تابعة لمحبته سبحانه بحيث يحب لأجله فمحبته صحيحة، وإلا فهي محبّبة باطلة، وهذا هو حقيقة الإلهية، فإنّ الإله الحقّ هو الذي يُحبّ لذاته ويحمد لذاته.[الفوائد: (ص١٨٣)]

لذلك يجب معرفة هذا الدين الذي جاء به رسول الله ﷺ، به تعرف الأديان الأخرى، به تعرف الرسل، وما جاءت به الرسل، وتحب الرسل، وتصدق الرسل، فدين رسول الله ﷺ هو المفتاح لذلك، الدين الإسلامي هو ما جاء به النبي ﷺ، أما بعض التقاليد وبعض البدع التي ابتدعها بعض الناس ثم يسمونها إسلاماً، كما نسمع هذه الأيام في بعض الدساتير؛ فيقولون: التقاليد الإسلامية، كالمولد والختمة والذكر والتهليل وغير ذلك، أسماء لغير مسمياتها كل ذلك من الإسلام، إذا قالوا الذكر من الإسلام لا يَعنون الذكر الشرعي، المراد بالذكر: هناك مجالس يجتمع فيها الناس ويذكرون بالألفاظ المفردة الله، لا يذكرون الله بالتهليل والتكبير والاستغفار والأذكار الشرعية، يبدؤون بالله وينتهون ب(حلله حلله حلله حلله)، ويسمونها مجالس الذكر، وهذه المجالس عندهم يجب أن تكون من الدين، ومن ينكر هذه المجالس ينكر الدين، وهو المراد بالتهليل أيضاً وبالختمة ما يفعل من البدع عند ختم القرآن.

والتوسل المراد به عندهم: الاستغاثة بالصالحين ودعوة الصالحين والطواف بقبورهم والنذر، لهم يسمونه توسلاً، إذا جمع بعض الناس هذه العناوين، وقدَّموها للمجتمع، لبعض المجتمعات أنَّ هذا هو الإسلام هذا تضليل، إذا كانوا يقدمون هذه العناوين على أنها من الإسلام هذا جهل مركب منهم، وإذا كانوا على علم ولكن لينالوا المكانة عند الشعوب، هو تضليل، تلبيس، تجهيل للناس لحقيقة الإسلام.

حقيقة الإسلام: الاستسلام، الاستسلام لله تعالى والانقياد له بالطاعة والعبادة، وكل ذلك لا ينفع إلا إذا كان مأخوذا من مشكاة النبوة، أيّما عمل لا يؤخذ مما جاء به رسول الله ﷺ ودرج عليه الصحابة لا يسمى إسلاماً، وإن أعلن رسمياً إنه من الإسلام.

((معرفة كل ذلك بالأدلة)): لابدَّ من الأدلة، وكل علم يقدم بدون دليل فهو دعوى، والدعوى لابدَّ لها من بينة، البينة الدليل، الدليل: قال الله، قال رسول الله ﷺ، أو إجماع الصحابة.

ويقول الإمام - رحمه الله -:

والدليل على أن هذه المسائل الأربع يجب تعلمها على جميع المسلمين، الدليل على ذلك هذه السورة القصيرة التي يحفظها تقريباً كل مسلم.

((بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿ والعَصرِ ۞ إنَّ الإنْسَانَ لَفِي خُسرٍ ۞ إلَّا ٱلذينَ ءامَنُوا وَعمِلُوا الصَّالِحاتِ وَتَواصَوا بِالحَقِّ وَتَوَاصَوا بِالصَّبرِ ﴾ [سورة العصر] **))** هذه المسائل الأربع كما ستشرح إن شاء الله .

((والعصر)):

الواو: واو القسم، **العصر**: هو المُقسَم به.

فالله سبحانه وتعالى له الحكمة البالغة فيما خلق، وفيما شرع في أحكامه، في قضاءه وقدره، حكيم يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد ولا يسأل عما يفعل، يقسم وكثيراً ما

يقسم بمخلوقاته، ومع ذلك أرسل رسوله الأمين ﷺ، وبين لنا أننا نحن العباد لا يجوز أن نقسم إلا بالله، ولكن الله قد يقسم بمخلوقاته، وليس للعباد أن يقيسوا أنفسهم على رب العالمين فيقسمون ببعض المخلوقات قائلين لأن الله يقسم بالعصر والليل والضحى، **ونحن لماذا لا نقسم؟ أنت عبد والعبد يقف عند أمر سيده، فسيدك هو الله، أرسل إليك سيد الناس أجمعين محمد ﷺ فأخبرك إن العبد لا يقسم إلا بالله:** ((**من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت**))(١)، **إذ العبد ممنوع من أن يقسم بغير الله ولو كان بأشرف المخلوقين محمد رسول الله ﷺ، لا يجوز للناس أن يقسموا برسول الله ولا ببيت الله، ولا بأحد من خلق الله من الأنبياء والملائكة و المرسلين والصالحين و الجمادات، كل ذلك لا يجوز، ولكن الله يقسم بما شاء لحكمة يعلمها.**

أقسم هنا بالعصر، يحتمل أن يكون العصر أو يشمل العصر:

- **عصر النبوة عصر محمد** ﷺ لأنه عصر ممتاز، عصرٌ أرسل الله فيه خاتم النبيين بالرسالة العامة، بينما كان الرسل؛ يرسل كل رسول إلى قومه، وبلسان قومه، رسالة مؤقتة تنتهي، يعلم الله متى تنتهي، و إن كانوا هم لا يعلمون متى تنتهي حتى تنتهي، ذلك النسخ، تنسخ كل رسالة وتنتهي إلى حدٍ ولقوم محدودين، ولكن الرسالة المحمدية جاءت رسالة عامة وباقية ما بقيت الدنيا، إذاً هذا العصر عصر النبوة عصر ممتاز أقسم الله به ليبين مكانة هذا العصر.

- ويشمل هذا العصر أيضاً **صلاة العصر**، لأن صلاة العصر هي الصلاة الوسطى على أصح القولين، الصلاة الوسطى تمتاز على الصلوات الأخرى إذ يجتمع فيها الملائكة الذين ظلوا فينا، والملائكة الذين ينزلون ليبيتوا فينا وقد يحصل هذا المعنى في صلاة الصبح لذلك أُختلف في الصلاة الوسطى، هل هي صلاة الصبح أو صلاة العصر؟ والذي يرجحه كثير من المحققين أنها صلاة العصر، وبناء على ذلك **العصر المراد به صلاة العصر أو والعصر بمعنى الدهر ليشمل جميع العصور**، لله حكمة في ذلك كله، أقسم الله بالعصر سواءً كان بهذا المعنى أو ذاك أو غيرهما.

---

(١) أخرجه البخاري: (٦٦٤٦) واللفظ له، ومسلم: (١٦٤٦) .

- إنَّ جنس الإنسان في خسارة وفي هلاك، الجنس قد يخرج من هذا الجنس الأفراد الذين عصمهم الله وهم الأنبياء ﴿ إنَّ الإنسانَ لَفِي خُسرٍ ﴾ إلا الَّذين اتصفوا بالصفات الآتية:

١) - صفة الإيمان: الإيمان يشمل الإيمان بالله - راجع الأصول التي سبقت - الإيمان بالله، ما يجب الإيمان به يدخل في قوله تعالى : ﴿ إِلَّا الَّذي آمَنُوا ﴾ وهذا ضربٌ مِن ضروب إعجاز القرآن، لفظ وجيز، جملة شملت هذه المعاني كلها إلا الذين أمنوا بالله أمنوا بربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته، أمنوا بملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ﴿ إِلَّا الَّذين آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَات ﴾.

وعملوا الصالحات، ما هي الأصول التي تقدمت؟ العلم: وهو معرفة الله ومعرفة نبيه ومعرفة دين الإسلام، الأصول الثلاثة.

المسألة الثانية: والعمل به: ﴿ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ يُشير إلى المسألة الثانية، ﴿ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ شملت المسألة الأولى بجميع ما ذكر الشيخ من: معرفة الله، ومعرفة نَبيِّه، ومعرفة دين الإسلام ﴿ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾.

٢) - ﴿ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ خذ المسألة الثانية: العمل به، ﴿ إِلا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ العمل الصالح الخالص لله الموافق لهدي رسول الله ﷺ يشمل باب العبادة، وباب الأعمال والأحكام، كل عمل صالح حتى الاقتصاد والسياسة والأخلاق داخل في العمل الصالح ﴿ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلوا الصَّالِحاتِ ﴾.

المسألة الثالثة: الدعوة إليه ﴿ وَتَوَاصَوا بِالحَقِّ ﴾ الدعوة إلى الله، الدعوة إلى الإسلام.

٣) - ﴿ وَتَواصَوا بِالحَقِّ ﴾ الحق ما جاء به رسول الله ﷺ، الحق لا يتعدد واحد، وتواصوا بالحق: يدعوا بعضهم بعضاً إلى الحق إلى العقيدة، إلى تصحيح العقيدة، إلى تصحيح العبادات، إلى تصحيح المعاملات، إلى التقيد بالشريعة في عبادتهم وأحكامهم واقتصادهم وسياستهم وجميع أعمالهم.

المسألة الرابعة: **الصبر على الأذى فيه**

٤) - ﴿ وَتَواصَوا بِالحَقِّ وَتَوَاصَوا بِالصَّبْرِ ﴾ من يدعوا هذه الدعوة العامة الشاملة، ويحاول أنْ تتقيد الناس بالدين الإسلامي الذي جاء به رسول الله ﷺ، في عقيدتهم، في عبادتهم، في معاملتهم، في سياستهم واقتصادهم وغير ذلك، لابدَّ أنْ يُؤذى ولابدَّ، ولكن الله لطيف في باب الإيذاء، يلطف بعباده إذا عَلِمَ الله من العبد الصلابة والقوة في إيمانه ابتلاه ابتلاء عظيماً، وسلَّط عليه أعداءه، ليصفيه، وليرفع درجته، لذلك أعظم الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل(١)، وإذا عَلِمَ الله من عبده الرِّقة والضعف في إيمانه، لطف به، وخفَف عليه الامتحان والبلاء، كحالنا كما ترون، انظروا إلى من قبلنا من الدعاة المصلحين بدءاً من الأنبياء، وانظروا إلى حالنا، أولئك ابتلوا ذلك الابتلاء لأنَّ الله عَلِمَ في إيمانهم القوة والصلابة، ولطف بنا ورحمنا وخفَف عنا الامتحان والابتلاء لِمَا يعلم منَّا من الضعف و الرقة في إيماننا، إنه بعباده لطيف خبير سبحانه.

تعالوا إلى فهم الإمام الشافعي لهذه السورة العظيمة بعد هذا الشرح.

يقول الإمام الشافعي : ((**لو ما أنزل الله حجة على خلقه إلا هذه السورة لكفتهم**))(٢)، هذا يدل على دقة فهمه رحمه الله وسعة فقه « **من يرد الله به خيراً يفقه في الدين** »(٣) لكفتهم، لأن الآية شملت أصول الدين وفروع الدين لم تترك شيئا، شملت معرفة الله، معرفة الله كما شرح الشيخ ومعرفة دينه ومعرفة نبيه شملت كل ذلك، وشملت الأعمال، وشملت الدعوة وشملت الصبر في ذلك، لذلك الآية لم تترك شيئاً، إذا وفق الله العبد إلى فهمها و فهمها كما فهمها الإمام الشافعي وغيره، وكما فهمها هذا الإمام الذي استنتج منها هذه المعاني التي ذكرها قبل السورة، أخذها من السورة ثم ساق السورة .

---

(١) أخرجه الترمذي: ٢٣٩٨، وابن ماجه: ٤٠٢٣، وصَحَّحه الألباني في السلسلة الصحيحة: ١٤٣ .

(٢) ذكر الحافظ ابن كثير هذا الأثر عن الشافعي بلفظ: ((لو تدبَّر الناس هذه السورة لوسعتهم)) (٤/٧٠٨) .

(٣) أخرجه البخاري: ٧١، ومسلم: ١٠٣٧ .

قال الإمام -رحمه الله-:

((وقال الإمام البخاري -رحمه الله تعالى- : [باب: العلم قبل القول والعمل]))

والدليل قوله تعالى، وسائق التعليق يقول في صحيح البخاري كما في النسخ التي بأيدينا: باب العلم قبل العمل لقول الله تعالى: ﴿ فَاعلَمْ أنَّهُ لا إِلَه إلَّا الله ﴾ [محمد : ١٩] فبدأ بالعِلم، اختلاف اللفظ واختلاف النسخ اختلاف تنوعي واختلاف لفظي، والمعنى واحد؛ البدء بالعلم قبل القول والعمل، هذا دليل على مكانة العلم، وأنَ العابد لا يجوز له أن يبدأ بالعبادة إلا بعد العلم، وأنَّ الواعظ والمعلم والمرشد لا يجوز له أن يتصدى لذلك قبل العلم، أي يجب أن يدعوا الناس إلى ما يعلم، وينصح الناس بما يعلم، ويعلم الناس ما يعلم، وما لم يعلم يعتذر؛ يقول: الله أعلم.

أما العابد الذي يريد أن يعبد الله على جهل، معرضاً عن العلم في زعمه، ملازماً للصفوف الأول، ومبكراً إلى المساجد، ومعرضاً عن العلم، هذا قد استولى عليه الشيطان وأبعده عن العلم، يجب أن ينصح بعض الذين يجتهدون في العبادة وينقطعون إلى العبادة، معرضين عن التعلم، وجامدين على ما عندهم، ومقدسين لأنفسهم، والمخدوعين المغرورين بعبادتهم على جهل، أقول هذا القول ليسمع بعض الصالحين العباد الذين هم على جانب كبير من الجهل، وربما بعض الزوار وبعض الغرباء عندما يرونهم في الصفوف الأول يحسبونهم من طلاب العلم، ويسألونهم أسئلة فيجيبون على جهل، قد يستحي أنْ يقول: لا يعلم، ولكنه يفتي بجهل فيضل ويضل، لذلك ننصح إخواننا العباد أن يُخصِّصوا أوقاتاً لطلب العلم، وأوقاتاً للعبادة،

إذا يسر الله أمرهم وتفرغوا للعبادة وليس هناك ما يشغلهم فليقسموا أوقاتهم إلى العبادة وإلى طلب العلم، **فليركِّزوا على طلب العلم، فليعلموا أن تعلُّم العِلم الديني؛ عقيدةً وأحكاماً وخصوصاً في العبادة من العبادة، طلب العلم من العبادة، العلم الشرعي طلبه من العبادة، العبادة أنواع ليست العبادة مجرد الصلاة، وليست العبادة مجرد اتباع الجنازة وليست العبادة مجرد لزوم الصف الأول العبادة أنواع، نوّع عبادتك، وأبدأ بالأهم، الأهم: العلم، اطلب العلم والعمل هو الذي يسهل لك العبادة، ويجعلك تتذوق العبادة، وتحس للعبادة ذوقاً**، وإلا سوف لا تنفعك عبادتك خذها نصيحة حارة هكذا.



المتن

📖 قال الإمام المصنف – رحمه الله تعالى -:

اعلم - رحمك الله - أنه يجب على كل مسلم ومسلمة تعلم هذه الثلاث مسائل والعمل بهن:

١)- الأولى: أنَّ الله خلقنا ورزقنا، ولم يتركنا هملاً، بل أرسل إلينا رسولاً، فمن أطاعه دخل الجنَّة، ومن عصاه دخل النَّار؛ والدليل قوله تعالى: ﴿ إنَّا أَرْسَلنَا إليكُم رَسُولاً شَاهِداً عَليكُم كَمَا أَرْسلْنَا إلى فِرعونَ رَسُولاً ۞ فَعَصَى فِرعَونُ الرَّسولَ فَأَخَذنَاهُ أَخْذاً وَبِيلاً﴾ [المزمل : ١٥-١٦] .

٢)- الثانية: أنَّ الله لا يرضى أنْ يشرك معه في عبادته أحد، لا ملك مقرب ولا نبي مرسل؛ والدليل قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّ المَسَاجِدَ للهِ فلا تَدْعُوا مَعَ اللهِ أَحَداً ﴾[الجن : ١٨].

٣)- الثالثة: أنَّ مَن أطاع الرسول، ووَحَّدَ الله لا يجوز له موالاة من حَادَّ الله ورسوله ولو كان أقرب قريب؛ والدليل قوله تعالى: ﴿ لا تَجِدُ قَومَاً يُؤمِنُونَ باللهِ واليَومِ الآخرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُم أَو أَبنَاءَهُم أَو إِخْوَانَهُم أَو عَشِيرَتَهُم أُولئِك كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنه وَيُدخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجرِي مِن تَحتِهَا الأَنْهارُ خَالِدِينَ فِيها رَضِيَ اللهُ عَنهُم وَرَضُوا عَنهُ أُولَئِكَ حِزبُ اللهِ أَلَا إِنَّ حِزبَ اللهِ هُم المُفلِحُونَ﴾[المجادلة : ٢٢]

الشرح

أولاً: كلمة التجديد نحن سمينا أو سماه من عرفه قبلنا، كما هو واقعه، محمد بن عبد الوهاب أنه من المجددين، يتساءل بعضهم عن معنى التجديد؟

ما هو التجديد؟

الجواب التجديد ينقسم إلى قسمين:

تجديد هو المراد بالأثر الوارد: «**إن الله يقيض لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها أمر دينها**»[1]، وهذا التجديد وارد وواقع وله معنى سليم، بعد أن يفهم المعنى، معنى هذا التجديد ليس أن يأتي المجدد بأمر جديد، و بدين جديد، وبأحكام جديدة، وعقائد جديدة، وإنما معناه أن يجدد للناس مفهومهم الفاسد، لأن بناء الإسلام قائم تم، وآخر لبنة تم بها ذلك البناء هو رسول الله ﷺ، والبناء قائم لا ينهدم، حتى يَرِثَ الله الأرض ومن عليها وما عليها، وكل الذي يحصل؛ يحصل في مفاهيم الناس، ومواقف الناس مع طول المدة، وبعد العهد، وقلة العلم، وكثرة الجهل، يحصل تغيير وتبديل وانحراف في مفاهيم الناس، وفي مواقفهم من الدين الذي جاء به رسول الله ﷺ.

كالذي حصل في عهد المأمون العباسي في مفهوم التوحيد، عندما اتصل به بعض المعتزلة فأغووه.

---

(١) أخرجه أبو داود: ٤٢٩١؛ بلفظ: ((إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يُجدد لها دينها))، وصحَّحه الألباني في السلسلة الصحيحة: ٥٩٩ .

ففسَّر التوحيد عندهم بنفي الصفات، وفسر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالخروج على ولاة الأمور، وفسر العدل بأن يوجبوا على الله أن يفعل ما هو الأصلح فالأصلح للعباد، يجب وجوباً، وجعلوا مرتكب المعاصي غير مؤمن، وهكذا تغيرت المفاهيم، وسخروا بكلام الله -القرآن-، قالوا: إنه خَلْق من خَلْقِ الله وليس بكلام الله.

هنا قَيَّض الله لهذه الأمة من يكون سبباً في حفظ العقيدة، وامتحن المأمون أو دعا إلى امتحان كثير من العلماء، إلا إنه هلك قبل أن يتم له ما يريد، وامتحن الأئمة لتنفيذ هذا المخطط، في عهد المعتصم، والواثق، الخليفة الثامن والتاسع، أي بدأت الفتنة و المحنة في عهد المأمون، الخليفة السابع، واستمرت في عهد المعتصم بالله، والواثق بالله، هؤلاء الخلفاء الثلاثة أرادوا أن يغيروا مفهوم التوحيد ومفهوم كثير من الدِّين، **فقيَّض الله لهذه الأمة من يحافظ لهم على أمر عقيدتهم وهو الإمام أحمد بن حنبل،** حيث لم يوفق غيره منهم من مات قبل أن يصل إلى غرفة الامتحان، ومنهم من تظاهر بالموافقة ظاهراً وقلبه إن شاء الله مطمئن بالإيمان، و لكن الذي صمد و صدع بالحق هو الإمام أحمد.

من هنا يتبين معنى التجديد، **إذاً التجديد ليس معناه الإتيان بأمر جديد، و لكن رد الناس إلى الدين، إلى المفهوم الصحيح للدين،** كأنهم فهموه من جديد، بعد أن جهلوا أو تجاهلوا أو نسوا أو انحرفوا، بعد ذلك صاروا كأنهم فهموا من جديد الدين، هذا هو معنى التجديد، وذلك ما فعله أيضاً الإمام ابن تيمية في القرن السابع، عندما جهل منهج السلف، على الرغم من تجديد و جهاد الإمام أحمد إلا أن الله لم يقيض له مؤازراً يتبنى دعوته، و يدافع عنها، و ينشرها بين الناس، بل تشتت السلفيون في زوايا الدنيا حتى جهل منهج السلف جهلاً، وصار ينتسب إليهم من ليس منهم، ويفسر منهج السلف بتفاسير، كما يفسر الإسلام اليوم بتفاسير كثيرة، في هذا الوقت بعد أن جهلت الناس أو كادت تجهل ذلك المنهج الذي جاء به رسول الله ﷺ، وسار عليه الصحابة، وجَدَّده ابن حنبل، جهل من جديد، اشتغلت الناس بدراسة الفلسفة

وعلم الكلام تشجيعاً من الخلفاء الثلاثة الذين تقدَّم ذكرهم، حتى طغى علم الكلام على المنهج السلفي، عند ذلك قَيَّض الله فظهر فجأة كما يقول المقريزي: ظهر في القرن السابع فجأة بدمشق الإمام ابن تيمية وصدع بالحق، وهاجم جميع الفرق المنتسبة إلى الإسلام المنحرفة عن الإسلام، فأظهر الله به الحق، و لكنه مرة أخرى لم يقيض له مؤازر، لم تحظى دعوته وتجديده وتصليحه الواسع بمؤازر يتبنى هذه الدعوة، ويدافع عنها وينشرها بين الناس، بل إن ذلك الإنتاج العظيم الفريد الذي لا مثيل له فيما نعلم، كتب ابن تيمية هاجرت من الديار الإسلامية إلى أوروبا و غيرها من دول الكفر، فبقيت مهجورة، لعدم المؤازر القوي الذي ينشر تلك العقيدة و يبع تلك الكتب لتطلع الناس على تلك الكتب فتستفيد، بقيت تلك الكتب مهجورة إلى عهد التجديد الثالث على يد ابن عبد الوهاب، هذا التجديد المبارك وُفِّقَ بمُؤازر قوي دافع عن الدعوة ونشرها وتبناها، فاستفاد التجديد الأول والثاني من التجديد الثالث، إذ طبعت تلك الكتب العظيمة التي كانت مهجورة في عهد التجديد الثالث، وانتشر العلم والمعرفة في هذا العهد، تبين من هنا معنى التجديد، أن كل واحد منهم إنما جدَّدَ للناس المفهوم الذي فسد، وردَّ الناس إلى المفهوم الصحيح، هذا هو التجديد المعني عندما يقال: فلان مجدد ومصلح.

أما التجديد بمعنى الإتيان بشيء جديد، كأن يدعي مصلح ما أنه يأتي بقواعد ولوائح وأصول يؤصلها من عند نفسه، بصرف النظر هل هي موافقة للسنة أم لا، ويتزعم هذا التجديد، ويُسمِّي نفسه رئيساً أو زعيماً لهذا التجديد، و يتبعه الناس على أنه تجديد لفلان و جماعة لفلان و نظام لفلان بصرف النظر أن ذلك التجديد موافق للسنة أو مخالف، **هذا هو التجديد المذموم، لأن هذا معناه الابتداع، الإتيان بأشياء جديدة في الإسلام، لا عهد للمسلمين الأولين بها**، هذا التجديد ما تدعو إليه كثير من التنظيمات المعاصرة، وهذا باطل، ما وافق منها الكتاب و السنة أُخِذ، وما خالف رُدَّ، هذا معنى التجديد.

الفرق بين العلِم والمعرفة:

النقطة الثانية التي نعلق عليها قبل الشروع في الدرس الجديد، تَساءَل بعض الطلاب حول العِلم، لِمَا عَرَّف المؤلف العِلم بالمعرفة؟ لأنَّه فَرَّقنَا بين العِلم وبين المعرفة، المعرفة أعم، صفتنا التي هي الإدراك تسمى علم وتسمى معرفة، أي إن العبد يوصف بالعلم وعلمه يطلق عليه المعرفة، فالله سبحانه وتعالى موصوف بالعِلم وعِلم الله لا يطلق عليه معرفة، لأن المعرفة مسبوقة بجهل، عِلم مكتسب، المعرفة علم مكتسب مسبوق بجهل، أما العلم علم الله تعالى ليس مسبوق بجهل لذلك لا يطلق عليه معرفة.

إذاً يشترك العبد والخالق سبحانه في كثير من الصفات التي منها العلم، الله عليم ووصف عباده بالعِلم ﴿ بِغُلامٍ عَلِيمٍ ﴾ [الحجر : 53] ، و﴿ حَلِيمٍ ﴾ [الصافات : ١٠١]، والإنسان سميع بصير، الله سميع بصير، والإنسان حي، والله حي، ويوصف المخلوق بالعزَّة والحكمة والعظمة والملك، وكل ذلك من صفات الله تعالى، ولكن صفات الله كما يليق به، وصفات المخلوق كما تناسبه، وإن كان العلم حقيقة في حق العبد كما أنه حقيقة في حق الرب سبحانه، ولكن الحقيقة غير الحقيقة، ليس هذا في هذه الصفات فقط بل لذلك نظائر.

فمثلاً لفظة رأس: رأس جمل، ورأس جبل، ورأس ثور، ورأس إبرة، ورأس ذبابة، هذه الرؤوس كلها حقائق، وهل رأس الجمل كرأس الإبرة ورأس البعير؟ لا.

ورأس الإنسان ليس كرأس الحيوانات الأخرى، والرؤوس كلها حقائق، هذا من باب التقريب على أنَّ الأشياء حقائق كثيرة مختلفة في حقيقتها.

علم الله صفة ذاتية قديمة قدم الذات، علم الله صفة محيطة بجميع المعلومات، علم الله لم يسبق بجهل، ومحيط بجميع المعلومات كما قلنا، ولا يطرأ عليه نسيان أو غفلة أو ذهول، وعلم المخلوق حقيقة لكنه علم مكتسب مسبوق بجهل، غير محيط بجميع المعلومات ﴿ وَمَا أُوتِيتُم مِن العِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً ﴾[الإسراء : ٨٥] ، يطرأ عليه

النسيان، بل يذهب علم الإنسان سوف يذهب، الإنسان نفسه سوف يذهب، ذاهب، إذاً الاتفاق في اللفظ والمعنى العام لابدَّ منه لنفهم حقيقة هذه الصفات، ولنفرق بين العِلم والقدرة والإرادة والسمع والبصر إلى غير ذلك، إنَّما هذا الاشتراك في اللفظ و في المعنى العام المطلق، قبل أن يضاف عِلم الله إلى الله و قبل أن يضاف علم المخلوق إلى المخلوق، فإذا أُضيف علم الله إلى الله وعلم المخلوق إلى المخلوق لا تبقى هناك مشاركة أبداً.

أي فالله مُنزَّه بأنْ يشارك العبد في حقائق صفات علمه، وفي مواصفات صفات علم المخلوق من كونه مكتسباً قاصراً ذاهباً، ومستحيل أنْ يشارك العبد ربَّه في ذلك العلم المحيط بجميع المعلومات العلم القديم، لذلك تسمى الإضافات هنا إضافة تخصيص، علم الله، هذه الإضافة من باب إضافة الصفة إلى الموصوف فهي إضافة تخصيص، تخصص العلم بالله، كما أن إضافة علم العبد إلى العبد، إضافة صفة إلى الموصوف، إضافة تخصيص، **مستحيل أن يشارك الله سبحانه وتعالى في خصائص صفات العبد**، قِس على هذا جميع الصفات التي فيها المشاركة في اللفظ من السمع والبصر والحلم والقدرة والإرادة وغير ذلك، **وبعد:**

✿ **قال المؤلف -رحمه الله تعالى-:**

((اعلم - رحمك الله-)) :

هكذا أسلوب الشيخ وأسلوب الأولين، هذا الخطاب يُقال: مُوجَّه إلى كل مَن تَتأتَّى منه المعرفة والعلم، اعلم يا طالب العلم يا من يتأتى منه العلم والمعرفة.

((اعلم انه يجب على كل مسلم ومسلمة تعلم المسائل الثلاث)) :

كيف التركيب عندكم في جميع النسخ، هكذا تعلم الثلاث مسائل؟

هذا التركيب في كثير من النسخ تركيب غير سليم، و أنتم تعلمون إن الكتاب يطبع عدة مرات، ومرت عليه أيدي ومطابع، لا تظنوا بأنَّ التعبير باقٍ على تعبير الشيخ،

وهذا شأن كلّ كتاب، لابدَّ من تصحيف، لابدَّ من أخطاء مطبعية، ونحن نصحح على القاعدة، تلك العبارة الصحيحة هي عبارة الشيخ، هكذا، ((**تعلم المسائل الثلاث**))، المسائل موصوفة بالثلاث، يجب أن يكون كل منهما معرفة، المسائل موصوفة والثلاث صفة، الصفة والموصوف كلاهما معرفان، الثلاث لأن المفرد مسألة لذلك تذكر، هكذا التعبير السليم إنْ شاء الله الذي هو الأصل قبل أن يقع شيء من التصحيف والأخطاء المطبعية، **تعلم هذه المسائل الثلاث**.

((**المسألة الأولى** : أنَّ الله خلقنا ورزقنا، ولم يتركنا هملاً، بل أرسل إلينا رسولاً، فمن أطاعه دخل الجنَّة، ومن عصاه دخلَ النَّار)).

هذه المسألة تعتبر قاعدة، مسائل في الواقع بمثابة القواعد، فيها معرفة توحيد الربوبية توحيد العلم والمعرفة، معرفة العبد بأن الله هو الذي خلقه وحده، وهو الذي رزقه وحده، ثم لم يتركه كالبهائم البهم تأكل من رزقه فقط، بل شرَّف الله الإنسان، شرفه الله بأنْ أرسل إليه رسولاً، هذا الرسول من بني جنسه، لم يكن ملكاً أو جنياً لئلا يستوحش منه، بل بشر، ولكن بشرٌ اصطفاه الله واختاره وربَّاه تربية خاصة، وأدبه فأحسن تأديبه، وهيَّأه لهذه الرسالة العظيمة العامة.

((**فأرسل إلينا رسولاً**)) هذا الرسول ﷺ، جاء هذا الرسول ليدعو الناس إلى الله، هذه وظيفته بشيراً ونذيراً.

((**فمن أطاعه دخل الجنَّة**)) من أطاعه دخل الجنَّة إما من أول وهلة دون عذاب أو عقاب كالسبعين الذين تعرفونهم، أو دخل الجنَّة بعد أن استوجب النار، دخل الجنَّة بشفاعة رسول الله ﷺ، أو تساوت حسناته وسيئاته فأمر به إلى النار، فيشفع رسول الله ﷺ فيدخل الجنة، هؤلاء دخلوا الجنَّة قبل دخول النار، أو قد يدخلوا النار ولكن نار تطهير، ومآله إلى الجنة بشفاعة النبي ﷺ، أو شفاعة الشافعين الآخرين، أو بمحض رحمة أرحم الراحمين، ولكن مآله إلى الجنة، هذا من أطاع النبي ﷺ.

إنَّما يتفاوتون هذا التفاوت على حسب طاعتهم لرسول الله ﷺ أو على حسب محبتهم الصادقة لرسول الله ﷺ، لأن الناس تتفاوت في محبة الله، وفي محبة رسول الله ﷺ، وفي طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ، وكلهم من أولياء الله، كل هؤلاء من أولياء الله ولكنهم درجات لأنَّ المؤمن وليٌّ، والولي أو الأولياء درجات، يظهر لكم من هذا من أطاع الرسول ﷺ يختلفون في صفة طاعتهم، وفي مبلغ طاعتهم، لذلك يختلفون في دخول الجنة.

((ومن عصاه دخل النار)):

۞ إما خالداً مخلداً، كأنْ كان عصيانه بالكفر، والشرك الأكبر، والنِّفاق الاعتقادي.

۞ أو دخل النار نار تطهير، كأنْ كان عصيانه بما دون الكفر كما تقدم.

والدليل على هذه المسألة العظيمة والقاعدة التي سمعناها قوله تعالى: ﴿ إِنَّا أَرسَلْنَا إِلَيكُم رَسُولاً شَاهِداً عَليكُم ﴾ وهو محمد ﷺ ﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلى فِرعَونَ رَسُولاَ ۞ فَعَصَى فِرعَونُ الرَّسولَ ﴾ [المزمل: ١٥-١٦]، هذا الرسول المُعرَّف هو الرسول السابق، ولكن النَّكرة المكررة من قبل، النكرة إذا تكررت الثانية غير الأولى ﴿ إِنَّا أَرّسَلْنا إِلَيكُم رَسُولاً شَاهِداً عَليكُم كَمَا أَرسَلنَا إلى فِرعونَ رَسُولاً ﴾ هذا الرسول غير الرسول الأول، الرسول الأول محمد ﷺ، والثاني موسى ﴿ فَعَصَى فِرعونُ الرَّسولَ ﴾ الرسول الثالث هو عين الرسول الثاني لأنَّه جاء معرفاً، أي الرسول المعهود المعروف الذي أُرسِل إلى فرعون السابق الذكر ﴿ فَأَخَذْنَاه أَخْذاً وَبِيلاً ﴾ أخذنا فرعون لمَّا عصى الرسول أخذاً وبيلاً، كذلك أنتم إنْ عصيتم الرسول ﷺ تُؤخَذون وتُعذَّبون على اختلاف في التعذيب في الدنيا وفي الآخرة.

❁ ((**المسألة الثانية**: أن الله لا يرضى أن يشرك معه في عبادته أحد، لا مَلَك - شَكِّل لا تقرأ مَلِك - لا مَلَك مقرب ولا نبي مرسل)).

إذا كان الله لا يرضى أن يكون شريكه في العبادة مَلَك، جبرائيل مثلاً، وأشرف الخلق محمد ﷺ، لا يرضى أن يُدعى جبرائيل، ويستغاث بجبرائيل، ويُذبح تقرباً إلى جبرائيل، وكذلك محمد ﷺ، فما بال غيرهما، بمعنى في باب الإشراك لا فرق بين أن يشرك به الإنسان صالحاً أو طالحاً، ملكاً أو نبياً أو جنياً أو إنسياً أو شيطاناً أو حجراً أو شجراً، المعنى واحد، لا فرق بين هذه الشركيات، لأن العبادة حق محض لله تعالى، لا يستحقها أحد.

هذه من المعاني التي تغيرت كثيراً، وجدَّدَها بعض المجددين، جهل كثير من الناس، ولا يزالون يجهلون في بعض الأقطار التفريق بين حق الله سبحانه وتعالى، وحق رسوله ﷺ، وحقوق الصالحين، يخلطون لا يعرفون ما هو حق الله على العباد، وما هو الواجب بالنسبة للرسول ﷺ على المؤمنين، وما هو الواجب على المؤمنين نحو صالحي عباد الله، صالحي المؤمنين، هذه من المعاني التي تغيرت، والتي يجب على طلاب العلم اليوم أن يقوموا بدور التجديد والإصلاح حيثما كانوا.

ودعوتنا اليوم في الغالب الكثير دعوة تصحيح، تصحيح هذه الأخطاء، تصحيح العقيدة، وتصحيح العبادة، وليس معنى قولنا إذا قلنا: ندعو إلى الله أن غيرنا من الناس غير مسلمين وأننا ندخلهم في الإسلام من جديد، **لا**، هذا تصور خاطئ، مسلمون ولكن مسلمون دخلت عليهم بعض الأخطاء في عقيدتهم وفي عبادتهم وفي أحكامهم و معاملاتهم واقتصادهم وسياستهم هذا هو الواقع، وإن كان لا يمنع هذا أن يقوم الدعاة بدعوة التأسيس في غير المسلمين الذين وفدوا على هذه البلاد باسم العمال، وهم كثر في كثير من المناطق يعيشون بين المسلمين، ومما يظهر أنهم ربما فَهِمَ بعضهم بحياتهم بين المسلمين بعض محاسن الإسلام، لذلك نراهم يعتنقون

الإسلام كثيراً، هذه الدعوة دعوة تأسيسية، والدعوة الأولى دعوة تصحيحية، نحن علينا أن نعمل في المجالين.

((**الدليل على المسألة الثانية** قوله تعالى: ﴿ **وأنَّ المَسَاجِدَ للهِ فَلا تَدعُوا معَ اللهِ أحداً** ﴾[الجن : ١٨])).

- لفظة أحداً: **يقال نكرة واقعة في سياق النفي، أو في سياق النهي، المعنى واحد، النكرة إنْ وقعت في سياق النفي، أو في سياق النهي، أو في سياق الاستفهام الإنكاري تفيد العموم**، فلا تدعو مع الله أحداً كائناً من كان، لا تستغيث بأحد غير الله، بنبي بملك بعبد صالح، هؤلاء عباد الله كلهم يرجون رحمة الله فلا يستغاث بهم ولا يدعون ولا يذبح لهم ولا ينذر لهم، ولكنهم يحبون في الله، أي نحبهم في الله، الصالحون نحبهم في الله من الأنبياء ومن بعدهم، و نتقرب إلى الله بمحبتهم ومحبتهم عمل صالح يتقرب العبد به إلى الله، المحبة شيء ودعوتهم والاستغاثة بهم والنذر لهم والذبح لهم شيء آخر مغاير تماماً، **حبهم في الله طاعة وحبهم مع الله شرك، فرق بين الحب في الله وبين الحب مع الله**، إذا أحببت الصالحين في الله لأجل الله لكونهم صالحين، ما أحببته إلا لكونه صالحا تقيا ملتزما متمسكاً عمل صالح تتقرب به إلى الله، لكن إنْ غَلَوت فيه غلواً وأحببته مع الله، تعامله معاملة الخالق، تدعوه وتستغيث به وتجأر باسمه كما تقول يا الله تقول يا فلان، هذا هو الحب مع الله من أكبر الشرك.

۞ ((**المسألة الثالثة**: **أنَّ مَن أطاع الرسول ﷺ ووَحَّدَ الله، لا يجوز له موالاة من حَادَّ الله ورسوله**)).

من ادَّعى أنه مُوحِّد، وأنه مطيع لرسول الله ﷺ، إنْ صحت هذه الدعوة سوف تمنعه من أن يُحبّ من كان عدواً لله، من يشاقق الله، من يخالف الله ويخالف رسول الله ﷺ، ولو كان أقرب قريب لو كان والده أو ولده، إن كان صادقاً في دعوى الإيمان بالله وبرسوله ﷺ ورأى أقرب قريب محاداً ومشاقاً لله ولرسوله ﷺ، و يحارب رسول الله

ودين الله معانداً كافراً يجب أن يقاتله ويقتله، كما حصل ذلك لجماعة من الصحابة والدليل قوله تعالى : ﴿ لا تَجِدُ قَومَاً يُؤمِنُون باللهِ واليومِ الآخرِ يُوآدُّونَ مَن حَادَّ اللهَ وَرَسولَه ... ﴾ الآية، في هذه النقطة يجب أن نتريث ونفهم الحقائق لا يتعجل بعض الشباب.

✪ أقسام الكفار:

الكفار قسمان:

- قسم يقال له **الكافر الحربي:** العلاقة التي بيننا وبينهم الحرب، ليس بيننا أي علاقة، عداوة وحرب، هؤلاء يجب قتالهم ولا تجوز موالاتهم، بل لا تجوز مجاملتهم ومداراتهم لأنه كافر حربي، إلى ذلك تشير الآية الكريمة: ﴿يا أَيُّها الَّذينَ ءامَنُوا لا تَتَّخِذُوا اليَهودَ والنَّصارى أَولياءَ بَعضُهُم أَولِيَاءُ بَعضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُم مِنكُم فَإِنَّهُ مِنهُم ﴾ [المائدة: ٥١] الهؤلاء الكفار الحربيون.
- وهناك **كافر غير حربي ذِمِّي:** الكافر الذِّمِّي لا يجوز قتله، ويجامل، ويُدارى، ولا يداهن، ويعامل في المعاملة الدنيوية، نبيع ونشتري منه، نقرضه ونستقرض منه، نعامله هذه المعاملة، ونشتري منهم الأسلحة، ونبيع لهم ما لدينا من السلع، طالما هو غير محارب لنا، إذا كان ذِمي وفي حكم الذِّمي المُستأمَن، ومن بيننا وبينهم الهدنة في أيام الهدنة يعاملون هذه المعاملة.

الفرق بين المعاملة والموالاة:

ولكن الذي يجب أن يفهمه الطلاب فرق بين المعاملة وبين الموالاة:

الموالاة المحبة القلبية، لا يجوز لك أن تحب الكافر كائناً من كان وتوده، تَحرُم مَوَدَّتهم ومحبتهم ونصرتهم، ولكن إذا كان غير حربي لا تحرم معاملتهم ومداراتهم ومجاملتهم، وإذا كنَّا نحس أن بعض الكفار في حكم الحربيين، ليس بحربي فعلاً ولكنه في حكم الحربي لأنه ظهير للكافر الحربي الذي بيننا وبينه الحرب، ظهيراً له ومعيناً له إن كنا قادرين على محاربته حاربناه وإلا نأخذ بالاستعداد ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم ﴾، أما كوننا ندخل معهم في الحرب ونحن غير معدين وغير مستعدين للقتال معهم هذه ليست بشجاعة هذا تهور، لابد من الاستعداد من قبل، قبل الحرب معهم، وهذا موقف المسلمين اليوم مع الدول الكبرى كما يُسمون، وهم إما حربيون أو في حكم الحربيين، ولكن المسلمين عاجزون عن مقاومتهم، وعن محاربتهم، لأنهم لم يعدوا أنفسهم بعد، فعلى المسلمين أن يعدوا أنفسهم بمصانع حربية كمصانعهم حتى يكونوا قوةً قادرة على حربهم، وأما نقف عند مصانع الكبريت والمعكرونة، ما عندنا مصانع حربية، عاجزون عجز القادرين على التمام، لسنا بعاجزين مادياً ولا من حيث الرجال، ولكن يسمى عجزنا عجز القادرين على التمام:

ولم أرى في الخلقِ عَيباً كَعَجْزِ القادرينَ على التمامِ

هذا هو عجزنا، قبل أن نعد أنفسنا فلنقف عند حدنا وإلا يستبيحون بيضتنا، ولكن نعد أنفسنا إعداداً من جديد.

الشاهد: يجب أن نفرق في موقفنا بين الكافر الحربي وبين الكافر الذمي، **الذمي غير موجود اليوم**، وبين المُستأمَن والمُعاهَد وصاحب الهدنة، هؤلاء كلهم يعاملون معاملة خاصة، ولكن من حيث المودة و المحبة كلهم على حدٍ سواء لا تجوز مُوادَّة ومحبة وموالاة الكفار، ولو كان أحد الوالدين أو كليهما، لذلك علمنّا ربنا سبحانه كيف

نعامل الوالدين الكافرين، قال الله تعالى : ﴿ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلى أَنْ تُشرِكَ بِي مَا لَيسَ لَكَ بِهِ عِلمٌ فَلا تُطِعهُما وَصَاحِبهُمَا فِي الدُّنيَا مَعرُوفَاً ﴾ [لقمان: ١٥]، إذا كان الوالدان لا يُطاعان إذا دعا الولد إلى الشرك، وإلى الكفر، وإلى معصية الله ورسوله، ولكن لا يمنع ذلك مصاحبتهما بالمعروف، ومصانعتهما، والإحسان إليهما، ومن بِرهما لعلَّ ذلك يكون سبباً لدخول الإسلام.

❁ سؤال عن المستقدمين من الكفار:

المستقدمون من الكفار، مشكلة المستقدمين من الكفار طويلة وعريضة وعويصة، و خصوصاً إذا كانت مُستقدمة، المُستَقدَم امرأة كافرة أو غير كافرة، وحدها ليس معها زوجها ولا محرم، وإن كانت كافرة فأشدّ، فتجعل في البيت وتؤمن على البيت وعلى الأطفال، هذه من المشكلات العامة التي جلبناها إلى أنفسنا بأيدينا بعامل الترف، الترف والمنافسة بين الأغنياء هو الذي سبب هذه المشكلة للمؤسسة أو للبيوت، يعامل معاملة المستأمنين و أصحاب الهدنة، أي لا يؤذى في نفسه و ماله، ماله مؤمَن و دمه مؤمن لأنه في حكم الذمي و إن لم يكن ذمياً، ولكن لا ينبغي أن تربط بيننا و بينهم الولاء و المحبة و الود، نظهر له بأننا نعامله اضطراراً و لكن نكره ما عليه من الكفر، وندعوه إلى الإسلام، وكما أشرت في ما سبق نلاحظ أن كثيراً منهم بدأ يدخل في الإسلام، وحضرت غير مرة في مجلس شيخنا عبد العزيز بن باز و هم يحضرون ليعتنقوا الإسلام، وقد خصص لهم شخص يجيد الإنكليزية يعلمهم مبادئ الدين الإسلامي بعد اعتناقهم الإسلام، هذا مكسب إن استقدمناهم وعاملناهم معاملة حسنة وحملتهم معاملتنا الحسنة على اعتناق الإسلام، نعتبر هذا مكسب وواجب علينا أن نستقبلهم استقبالا حسنا، والله أعلم.



المتن

📖قال الإمام المصنف - رحمه الله تعالى -:

اعلم - أرشدك الله لطاعته -: أن الحنيفية - ملة إبراهيم -: أن تعبد الله وحده مخلصاً له الدين، وبذلك أمر الله جميع الناس وخلقهم لها؛ كما قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ والإنسَ إلَّا لِيَعبُدُون ﴾[الذاريات : ٥٦]، ومعنى يعبدون: يُوحِّدون .

وأعظم ما أمر الله به: التوحيد، وهو: إفراد الله بالعبادة.

وأعظم ما نهى عنه: الشرك، وهو: دعوة غيره معه؛ والدليل قوله تعالى:

﴿ وَاعبُدوا اللهَ وَلا تُشرِكُوا بِهِ شَيئاً ﴾[سورة النساء: ٣٦].

فإذا قيل لك ما الأصول الثلاثة التي يجب على الإنسان معرفتها؟

فقل: معرفة العبد ربَّه، ودِينه، ونبيه محمد ﷺ.

فإذا قيل لك من ربك؟ فقل: ربي الله الذي رباني وربَى جميع العالمين بنعمته، وهو معبودي ليس لي معبود سواه؛ والدليل قوله تعالى: ﴿ الحَمْدُ لِلهِ رَبِّ العَالمينَ ﴾[الفاتحة : ٢]، وكل ما سوى الله عالَم، وأنا واحد من ذلك العالم.

فإذا قيل لك: كيف عرفت ربك؟ فقل: عرفته بآياته ومخلوقاته، ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر، ومن مخلوقاته السماوات السبع والأرضون السبع ومن فيهن وما بينهما؛ والدليل قوله تعالى: ﴿ وَمِن آيَاتِهِ الليلُ والنَّهارُ والشَّمسُ والقَمَرُ لا تَسجُدُوا لِلشَّمسِ ولا لِلقَمرِ وَاسْجُدوا لِلهِ الَّذي خَلَقَهُنَّ إنْ كُنتُم إيَّاه تَعبُدُونَ ﴾[فصلت : ٣٧]، وقوله تعالى: ﴿ إنَّ رَبَّكُم اللهُ الَّذي خَلَقَ السَّماواتِ والأرضَ فِي سِتَّة

أيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوى على العرشِ يُغشِي الليلَ النَّهارَ يَطلُبُهُ حَثِيثاً والشَّمسَ والقمرَ والنُّجومَ مُسخَّرَاتٍ بِأمرِهِ ألا لَهُ الخَلْقُ وَالأمرُ تَبارَكَ اللهُ رَبُّ العالمينَ ﴾[الأعراف : ٥٤].

الشرح

يقول الإمام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله تعالى - في الرسالة المعروفة بالأصول الثلاثة:

((**اعلم أرشدك الله**)) اعلم يا طالب يا من يتأتى منه العلم.

((**اعلم أرشدك الله لطاعته: أنَّ الحنيفية مِلَّة إبراهيم**)) مِلَّة إبراهيم إما بَدَل أو عطف بيان من الحنيفية، كأنك تقول: أنَّ الحنيفية يعني مِلَّة إبراهيم أو هي التي مِلَّة إبراهيم.

((**أنْ تعبد الله وحده مخلصاً له الدين**)) هذه ملة إبراهيم، وملة من جاء من بعده من الرسل من أولاده لأنه أبو الأنبياء.

((**وبذلك أمر الله جميع الناس**)) **انتبه** وبذلك أمر الله جميع الناس، والآية التي يستدل بها المؤلف على هذا الحكم قوله تعالى: ﴿ **وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ والإِنسَ إلَّا لِيَعبُدُون** ﴾ لابدَّ من التوفيق بين المدلول والمدلول عليه، المدلول عليه هو هذا الحكم، أمر الله جميع الناس، بينما الآية تدل على أن الله خلق الجن والإنس جميعاً لعبادته، إذاً كان الأولى أن تكون العبارة هكذا: وبذلك أمر الله الجن والأنس وخلقهم لها، وبذلك الأولى أن تكون العبارة هكذا ليتفق الدليل والمدلول عليه، وبذلك أمر الله الجن والإنس وخلقهم لها كما قال تعالى: ﴿ **وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ والإِنسَ إلَّا لِيَعبُدُون** ﴾ خلق

الله الثقلين لعبادته، ليُوحِّدوه، ليعرفوه ويوحدوه و يعبدوه وَحْدَه، وفسَّر معنى يعبدون بيُوَحِّدُون، هذا معنى من المعاني، لأهل العلم عدة تفاسير ليعبدون: ليعرفوني ليخلصوا لي العبادة، ولكن كلمة يُوحدون أشمل، ولذلك لعل المؤلف اختار هذا التفسير.

ثم قال: **((وأعظم ما أمر الله به: التوحيد)):**

الله سبحانه وتعالى أمر بأوامر، أوامر كثيرة، وأعظمها إفراد الله تعالى بالعبادة، أعظم ما أمر الله به التوحيد، وفسَّر التوحيد بإفراد الله تعالى بالعبادة، وزِد على ذلك إثبات ما أثبت الله لنفسه من الصفات، وما أثبت له رسوله ﷺ، وتنزيه الله عن النقائص والعيوب ومشابهة المخلوقات، كلُّ ذلك مما جاء به رسول الله ﷺ، وأشتمل عليه الكتاب والسنة، وأما توحيد الربوبية كما سيأتي ، إنما يذكر ليستدل به على توحيد العبادة، أي إن توحيد الربوبية يستلزم توحيد العبادة لذلك يذكر من باب الاستدلال به على توحيد العبادة، وتوحيد العبادة يتضمن توحيد الربوبية .

ثم قال: **((وأعظم ما نهى عنه: الشرك)):** وهو دعوة - افطن هنا - وهو دعوة غيره معه.

هل الشرك دعوة غيره معه أو أعمّ من الدعوة؟

الشرك أعم من الدعوة، والدعاء نوع معين من أنواع العبادة، إذاً لو قال: وعبادة غيره معه لكان أولى، وهو عبادة غيره معه لكان أولى وأشمل، ليشمل الدعاء وغير الدعاء، كالذبح والنذر وغير ذلك، بدليل الآية التالية التي يستدل بها؛ وهي قوله تعالى: **((وَاعْبُدُوا اللهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً))** في عبادته، في الدعاء والاستغاثة

والذبح والنذر والتوكل والرغبة والرهبة وغير ذلك من أنواع العبادة، هذا تفصيل جزئي.

ثم أراد الشيخ أنْ يُلخِّص كل ما تقدم فقال:

((فإذا قيل لك ما الأصول الثلاثة؟))

الأصول: جمع أصل، والأصل ما يُبنى عليه غيره.

فجميع واجبات الدين تنبني على هذه الأصول الثلاثة من صلاة وزكاة وحج وغير ذلك، كلها تنبني وترجع إلى هذه الأصول الثلاثة، إذا قيل لك: ما الأصول الثلاثة التي يجب على الإنسان معرفتها التي سبق تفصيلها؟

((فقل: معرفة العبد رَبَّه، ومعرفة العبد دِينه، ومعرفة الإنسان نبيه محمد ﷺ))

وقد تقدَّم التفصيل في ذلك ما المراد بمعرفة الله و معرفة دين الله و معرفة نبيه ﷺ.

((فإذا قيل لك من ربك؟ فقل: ربي الله)) الذي أعبده، هو ربي لأنه لا يستحق العبادة إلا الربّ، أي إلا الخالق المربي **((ربي الله الذي رَبَّاني، ورَبَّى جميع العالمين))** وبذلك استحق العبادة، أما الذي لا يخلق ولا يرزق ولا يربي لا يستحق العبادة، فعبادته ظلم.

((رَبَّى جميع العالمين بنعمته)) بالنعمة، النعمة إذا أضيفت تشمل ﴿ **وَإِنْ تَعُدُّوا نِعمَةَ اللهِ** ﴾ [النحل: ١٨]، أيّ نِعَم؟ الله ربى جميع العالمين بنعمته، أي بنِعَمِهِ التي لا تعدُّ ولا تحصى، نعمة الإيجاد، نعمة الهداية، نعمة الإسلام، نعمة الإيمان، نعمة العلم، ونعمة الأمن والأمان وغير ذلك.

((وهو معبودي)) الأنسب هنا أن تكون فاء الفصيحة فهو إذاً معبودي، إذا كان هو الذي خلقني، وربَّاني، ورَبَّى جميع العالمين بنِعَمه.

((فهو معبودي ليس لي معبود سواه)) فهو وحده معبودي، تعريف جزئي الإسناد يدل على الحصر، فهو: المبتدأ معرفة، معبودي: الخبر معرفة لأنه مضاف إلى ياء المتكلم فهو معبودي، فهو وحده معبودي، لا أعبد إلا إياه، ولذلك فسر، الجملة الثانية تعتبر جملة تفسيرية ليس لي معبودٌ سواه، ومن عبد غير الرب الخالق المربي للعالمين بنعمه فقد ظلم، لأنه وضع العبادة في غير موضعها، والظلم: وضع الشيء في غير موضعه، ما الدليل على كل ذلك؟ قوله تعالى: ﴿ الحَمدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ ﴾ خالق العالمين، مربي العالمين.

ما هو العالَم؟ العالَم كل ما سوى الله، وأنا واحد من ذلك العالَم، فالله سبحانه وتعالى إذاً هو الذي يستحق العبادة وحده لأنه هو المنعم المتفضل على العالم.

((فإذا قيل لك: بِمَ عرفت ربك؟)) ما الدليل وما هي العلامات وما هي الآيات التي عرفت بها ربك؟ لأن الله سبحانه وتعالى احتجب في هذه الدنيا لا يُرى « فإنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا »[1]، إذاً الإيمان بالله تعالى من الإيمان بالغيب، الإيمان بالله من الإيمان بالغيب لأنه غائب عن نظرك ورؤيتك، وإن كان شاهداً معك لا يغيب عنك بعلمه وسمعه وبصره فهو معك، وهذه معية خاصة أو معية معنوية غير حِسِّيَّة لكنه حِساً فهو غائب عنك، لذلك الإيمان بالله من الإيمان بالغيب يحتاج علامة وأدلة تدل على وجود الله تعالى ما هي؟

((فإذا قيل لك بم عرفت ربك؟ فقل بآياته ومخلوقاته)) .

بآياته ومخلوقاته، عطف خاص على العام.

الآيات تشمل:

- الآيات المخلوقة
- والآيات المتلوة

والمخلوقات أخص، فمن آياته الليل والنهار والشمس والقمر، هذه آيات مخلوقة، الليل والنهار والشمس والقمر آيات أي علامات، علامات وجود الرب سبحانه وتعالى، وعلامات على قدرته وإرادته وعلمه وعزته وسمعه وبصره، ومن مخلوقاته السماوات السبع والأرضون السبع، هذه مخلوقات وفي الوقت نفسه آيات لا فرق بين هذه الآيات والتي قبلها ومن فيهن وما بينهما.

---

(١) أخرجه أحمد في المسند: (٤٣٢٠)، وصححه الألباني في صحيح الجامع: ٢٤٥٩ .

((**والدليل قوله تعالى:** ﴿ **وَمِن آيَاتِهِ** ﴾ الدالة عليه ﴿ **اللَّيلُ والنَّهارُ والشَّمسُ والقَمرُ لا تَسْجُدوا لِلشَّمسِ وَلا لِلقَمَرِ** ﴾ لأنَّهن من المخلوقات ﴿ **واسْجُدوا لِلهِ الَّذي خَلَقَهُنّ** ﴾ هو الذي يستحق السجود ﴿ **إنْ كُنتُم إيَّاه تَعبُدُون** ﴾، **وقوله تعالى:** ﴿ **إنَّ رَبكُم اللهُ الَّذي خَلَقَ السَّماواتِ والأرضَ فِي سِتَّةِ أيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوى على العَرشِ يُغشِي الليلَ النَّهارَ....** ﴾)) .

هذه الآية أول آية من الآيات السبع التي تدل على استواء الله تعالى على عرشه، آية سورة الأعراف هي الآية الأولى، ماهي الآية الثانية أو السورة الثانية؟ سورة يونس، الثالثة الرعد، الرابعة سورة طه، الخامسة سورة الفرقان، السادسة سورة السجدة، السابعة سورة الحديد، الآيات السبع في هذه السور السبع هي التي تدل على استواء الله تعالى استواءً يليق به على عرشه، وأما الأدلة الأخرى الكثيرة التي تدل على عُلو الله تعالى فهي أيضاً دليل آخر على هذا الاستواء، لأن الاستواء عُلو خاص بالعرش، وطلاب العلم يفرقون بين العُلو والاستواء.

🌐 الفرق بين العلو والاستواء:

الاستواء: صفة فعلية لذلك تَجدَّدت.

وأمَّا **العلو:** فصفة ذاتية ثابتة، دائمة الثبوت للربِّ سبحانه وتعالى لا تُفارِقه، أي لا يزال الله في عُلوه دائماً وأبداً حتى في حال نزوله إلى السماء الدنيا في آخر كل ليلة، وحتى في وقت مجيئه يوم القيامة لفصل القضاء فهو لا يزال في علوه، العلو صفة ذاتية ثابتة قديمة قدم الذات، وأما الاستواء فصفة فعل.

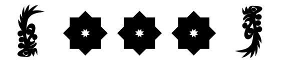
الاستواء عُلو خاص بالعرش، وأما العلو فهو علو الله تعالى على جميع مخلوقاته وأنه بائنٌ من خلقه بذاته ليس في ذاته شيء من مخلوقاته، ولا في مخلوقاته شيء من ذاته لهذا يعرف الرب سبحانه وتعالى ويتميز من جميع المخلوقات، وأما القائلون بأن الله في كل شيء وفي كل مكان، لم يعرفوا ربهم بعد، فليتعلموا من

جديد، فليطلبوه في عُلوه، وليدعوه في علوه، وليجأروا باسمه في علوه، ويخافوه من فوقه، بذلك يعرفون ربهم، وقبل ذلك فهم مضطربون غير عارفين بربهم.

﴿ والشَّمسَ والقَمرَ والنُّجومَ مُسخَّراتٍ بِأَمرِهِ أَلَا لَهُ الخَلقُ والأَمرُ ﴾، الخلق له هو الخالق وحده، والأمر له هو الآمر وحده **﴿ تَبَارَكَ اللهُ رَبُّ العَالَمين ﴾**.

والرب: هو المعبود، انتبهوا لهذا التفسير، ليس معنى هذا تفسير الربوبية بالعبودية ،**لا** ، بل يريد أن يقول الشيخ : **والرب هو المستحق للعبادة، لكونه ربا خالقاً**، أي يريد أن يستدل بالربوبية على الألوهية كما تقدم في الآيات، وإلا فالرب بمعنى الخالق والمربي، و المعبود الإله بمعنى المعبود، نفرق بين توحيد الربوبية و توحيد العبادة، و لكن نستدل دائماً بتوحيد الربوبية على توحيد العبادة وهذا ما أراده الشيخ -رحمه الله-؛ **((والدليل قوله تعالى: ﴿ يا أَيُّها النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُم الَّذي خَلَقَكم ﴾** هذا هو وجه الاستدلال، ﴿ **اعْبُدُوا رَبَّكُم** ﴾ لأنه هو الذي خلقكم، أما الذي لا يخلق ولا يرزق فلا يستحق العبادة **﴿ اعْبُدُوا رَبَّكُم الَّذي خَلَقَكُم وَالَّذينَ مِن قَبلِكُم لَعَلَّكُم تَتَّقُون ۞ الَّذي جَعَلَ لَكُم الأَرضَ فِراشاً والسَّماءَ بناءً وَأَنزَلَ مِن السَّماءِ مَاءً فَأَخرَجَ بِهِ مِن الثَّمَرَاتِ رِزقاً لَكُم فَلَا تَجعَلُوا لِلهِ أَندَاداً ﴾))** انظروا إلى فاء الفصيحة، إذا كان الأمر كذلك لا تجعلوا لله أنداداً، إذا كان هو الذي فعل ذلك وانفرد بهذه الأفعال، بأفعاله هكذا التي تقدم ذكرها، إذاً لا تجعلوا له أنداداً تحبونهم كَحُبِّ الله، وتعبدونهم كما تعبدون الربَّ الخالق، تعبدون مخلوقاً مثلكم، وهو لم يخلق ولم يرزق، وهو نفسه خلق وبحاجة إلى من يرزقه، إلى ربه سبحانه.

((قال ابن كثير - رحمه الله تعالى - بعد هذه الأية -: الخالق لهذه الأشياء هو المستحق للعبادة)) يقرر ما قلنا، هذا أسلوب القرآن وهو الاستدلال بتوحيد الربوبية على توحيد العبادة.



المتن

قال الإمام المصنف – رحمه الله تعالى -:

وأنواع العبادة التي أَمَرَ بها مثل: الإسلام، والإيمان، والإحسان.

ومنها: الدعاء، والخوف، والرجاء، والتوكل، والرغبة، والرهبة، والإنابة، والخشوع، والخشية، والاستعانة، والاستعاذة، والاستغاثة، والذَّبح، والنَّذر، وغير ذلك من أنواع العبادة التي أمر الله بها - كلها لله تعالى-؛ والدليل قوله تعالى: ﴿ وأنَّ المَسَاجِدَ لِلهِ فَلَا تَدعُوا مَعَ اللهِ أَحَداً ﴾ [الجن : ١٨].

فمَن صرف منها شيئاً لغير الله فهو مشرك كافر؛ والدليل قوله تعالى:

﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ اللهِ إِلَهاً آخرَ لَا بُرهَانَ لَهُ بِهِ فإنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إنَّهُ لَا يُفلِحُ الكَافِرُونَ ﴾ [المؤمنون: ١١٧]، وفي الحديث: ﴿ الدُّعاءُ مُخُّ العِبادةِ ﴾، والدليل قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُم ادْعُونِي اسْتَجِبْ لَكُم إنَّ الَّذينَ يَستَكبِرُونَ عَن عِبادَتِي سَيَدخُلُون جَهَنَّمَ دَاخِرين ﴾ [غافر: ٦٠] .

الشرح

قال الشيخ -رحمه الله تعالى-:

((وأنواع العبادة التي أمر الله بها)) أين الخبر؟ أنواعُ: مبتدأ، وأنواع العبادة التي أمر الله بها، أين؟ الخبر محذوف، وأنواع العبادة التي أمر الله بها كثيرة.

ثم قال: **((مثل: الإسلام))** في إمكانك أن تجعل مثل: الإسلام والإيمان .... الخ، الخبر، ولكن فيه رِكَّة في المعنى، المعنى الواضح أن تقدر الخبر، والإيجاز بحذف الأخبار أسلوب عربي معروف، وأنواع العبادة التي أمر الله بها كثيرة، منها أو مثل الإسلام وهو: الاستسلام أي الأعمال الظاهرة، ومثل **((الإيمان))**.

إذا ذكر الإسلام والإيمان معاً، مثل هنا و مثلما في حديث جبرائيل، يفسر الإسلام بأعمال الجوارح والإيمان بأعمال القلوب، أعمال الجوارح من العبادة من صلاة وزكاة وغير ذلك، وأعمال القلوب من خشية ومحبة ورضى ومراقبة، كل ذلك من الأعمال القلبية التي هي من شعب الإيمان، **((والإحسان))** أدق من الإيمان وأخص، الإسلام أشمل ثم الإيمان ثم الإحسان، كما يأتي الكلام على هذه النقطة عند ذكر مراتب الدين الإسلامي الثلاث.

و**((منه))** (منه) الضمير يعود على أي شيء ؟ إذاً منها أو منه؟ العبادة مؤنث والأنواع جمع، كل جمع مؤنث، أين المذكر الذي تقدم ذكره حتى يعود إليه الضمير؟، الصحيح الصواب (ومنها).

((ومنها)) أي من أنواع العبادة، لاحظوا تصحيح الألفاظ، يقولون المعاني تحت المباني، لابد من تصحيح المباني وعندما نصحح الألفاظ ليس معنى ذلك نعقب على الشيخ، كما قلت في الدرس السابق الكتاب طبع عدة مرات، والأخطاء المطبعية

واردة، وواردة كثيراً خصوصاً في هذا الوقت، ونحن عندما نصحح الأخطاء المطبعية - انتبه -.

((ومنها)) أي من أنواع العبادة الكثيرة:

((الدعاء، ومنها **الخوف، والرجاء، والتوكل، والرغبة، والرهبة . . .))** إلى أن عَدَّد آخر ما عدد هنا الشيخ.

((الدعاء)) سيأتي الدليل على ذلك: **﴿الدُّعاء هو العبادة﴾**[1]، و **﴿ الدُّعاء مخ العبادة ﴾**[2]، والشيخ سوف يستدل: **﴿ الدعاء مخ العبادة ﴾**، وأصح منه:

﴿الدعاء هو العبادة﴾، ولكن المعنى واحد ، و**﴿ الدعاء مخ العبادة ﴾**، وإن قال فيه بعض أهل العلم من حيث الإسناد، ولكنه صحيح من حيث المعنى، لأن الحديث الثاني يشهد له والمعنى سليم **﴿ الدعاء مخ العبادة ﴾**، و **﴿ الدعاء هو العبادة ﴾** ولفظه: هو العبادة، قد يكون أقوى، لأنه فيه تعريف جزئي الإسناد، وتعريف جزئي الإسناد عند علماء البلاغة يفيد الحصر والقصر، أي الدعاء وحده هو العبادة، لأن **الدعاء يدخل فيه:** دعاء طلب ودعاء مسألة.

- كل العبادات، الصلاة دعاء والزكاة دعاء والحج دعاء والصيام دعاء، هذا **دعاء عبادة.**

- وهناك **دعاء طلب** مثل: اللهم اغفر لي، وارحمني، كل ذلك داخل في قوله الدعاء.

{ والخوف)) : الخوف ينقسم إلى قسمين :

- خوف العبادة
- وخوف طبيعي

(١) أخرجه أبو داود: ١٤٧٩، والترمذي: ٢٩٦٩، وابن ماجه: ٣٨٢٨، وصَحَّحه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب: ١٦٢٧ .

(٢) أخرجه الترمذي: ٣٣٧١، وضَعَّفه الألباني في ضعيف الجامع: ٣٠٠٣ .

خوفك من الأسد وخوفك من العدو، تهرب منه، وقد تخرج من بلدك خوفاً من عدو ومن جبار هذا الخوف **خوف طبيعي**، ليس خوف عبادة، لا يؤثر.

إنما الخوف **خوف العبادة، الخوف السري**، كخوف المريد والدرويش من الشيخ، شيخ طريقته يخاف من سره، يخشى أن يطلع الشيخ على ما في ضميره فيضره في إيمانه في نفسه في أهله وماله، وربما يخاف على إيمانه، يسلب إيمانه، يعني الدراويش والمريدين يؤمنون بمشايخهم أشد من إيمانهم بالله رب العالمين، ويخافون من شيوخهم أشد من خوفهم من الله، يفعلون ما يشاؤون مما يسخط الله ولا يبالون اعتمادا على سعة رحمة الله، يقولون: الله أرحم الراحمين يرحم يغفر، ولكن الشيخ أبداً لا يرحم إذا اطلع على ما في ضميرك لا يرحمك، أين الإيمان؟ أين الإسلام مع هذا الاعتقاد؟!

وهذا الذي نقوله ليس من أساطير الأولين، أشياء واقعة الآن في كثير من الأقطار وعند كثير من الناس يجلس المريد أمام الشيخ جلسة الكلب أمام سيده مطأطئً رأسه على الأرض خائفاً يكاد أن يضع يده على قلبه، ليحافظ على ما في صدره، لئلا يصدر بقلبه خاطر لا يرضي الشيخ فيهلك، هذا خوف العبادة الذي هو الشرك الأكبر، من بلغ به الخوف من الشيء إلى هذه الدرجة فهو مشرك شركاً أكبر، صلى أو صام.

- **((والرجاء)):** موقفهم في الرجاء كموقفهم في الخوف تماماً.

- **((والتوكل)):** وهو الاعتماد على الله.

الرجاء أن يرجو الإنسان من الله ما لا يقدر عليه غيره، يرجوه ويسأله ويطلب منه طلبات، ويتوكل عليه يعتمد عليه اعتماداً كلياً، لا نقسم التوكل كما قسمنا الخوف، لا يجوز التوكل على غير الله مطلقا، التوكل والحسب خاص بالله سبحانه وتعالى، ولكن التوكل لا يمنع استعمال الأسباب، مزاولة الأسباب، الأسباب المشروعة المباحة، بل العبد مأمور بمزاولة الأسباب المشروعة، كالتغرب لطلب العلم والزواج

لطلب الولد ، وأن يعمل في التجارة والزراعة لطلب الرزق، ولكن لا يعتمد على هذه الأسباب، يعتمد على الله سبحانه وتعالى في نجاح هذه الأسباب، أما ترك الأسباب والتمني على الله أن الله يرزقه ولداً صالحاً وهو لا يتزوج، ويتعلم يجلس في بيته ليل نهار فيخرج على الناس أعلم أهل بلده، هذه أمنية كاذبة مخالفة لسنة الله في خلقه لابد أن يعمل الأسباب ويتوكل على الله سبحانه وتعالى في نجاح تلك الأسباب ولا يجوز الاعتماد على الأسباب.

((والرغبة والرهبة)) الرغبة في الخير، والرهبة في الشر، لا ترغب إلا في الله ولا ترهب إلا من الله، راجع للخوف و الرجاء متقارب.

((والخشوع والخشية)) متقاربان أيضاً، والإنابة، التوبة والإنابة والرجوع إلى الله كل ذلك خاص بالله سبحانه وتعالى، الذي يخشى ويخشع له ويخضع له ويتذلل له هو الله وحده.

((والاستعانة)) الاستعانة قد تقسم إلى:

جائز وغير جائز، كونك تستعين بغيرك فيما يقدر عليه، تطلب من غيرك أن يرفع لك المتاع على سيارتك جائز لأنك طلبت منه ما يقدر، لكن تستعين به فيما لا يقدر عليه إلا الله هنا الشرك، والإستعاذة كذلك، والاستغاثة كذلك، كونك تلجأ إلى إنسان ليحميك لتدخل البلد وتستغيث برجال الإطفاء - ويسمى في لغتنا الإسعاف - فيما يقدرون عليه جائز، لكن تستغيث بالله فيما لا يقدر عليه إلا الله، و تستغيث بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله ، تلتجئ إلى غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله هنا الشرك.

((والذبح)): الذبح نوعان أيضاً :

- **ذبح عادي**
- **وذبح عبادة**

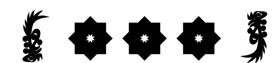
ذبح العادة: كأن تذبح لك شاةً لتأكل اللحم، أو لتكرم ضيفك، ليس هذا هو المراد، إنما الذبح الذي تذبحه تقرباً كالأضحية والهدايا والعقيقة، ولو صرفت شيئاً من ذلك كما يفعله جهال الحجاج فيما بلغنا من أخبار الحجاج بعد أن يرجع من الحج

بالسلامة، بدل من أن يشكر الله ويطعم عباد الله، يأخذ الكبش فيهرول إلى قبر الشيخ ويذبح هناك، لأنه كان يعتقد أن الشيخ كان معه في هذه الرحلة وهو الذي حفظه وهو الذي رده بالسلامة إلى بلده، ما قيمة هذا الحج ؟!! لا قيمة له لأنه لم يؤمن بعد.

● **((والنذر))** جعل النذر في الأموال، عوام المسلمين أصحاب البساتين يجعل في النخل نخلة يخصصها للشيخ، هذه النخلة هي التي تحفظ النخل كله، ويجعل في الحوش ثوراً يحفظ الحوش كله ببركة الشيخ، إذا كان الحوش وكذلك الأموال الأخرى ليس فيها نذر للشيخ يخاف على هذا المال من الضياع، هؤلاء يحتاجون مراجعة الإيمان ويحتاجون تصحيح عقيدتهم، وهذا ما يجب على طلاب العلم اليوم أن يصححوا هذه العقائد، العقائد المدخولة فيها كثيرٌ من الأخطاء، أخطاء منتشرة في عقيدة عوام المسلمين في أكثر الأقطار الإسلامية يعيشون على هذه العقيدة إذاً هم بحاجة إلى تصحيح عقائدهم، وقبل أن تصحح عقائدهم، وقبل أن تقوم عليهم الحجة ببيان الحق نرجو أن يعذروا، لأنهم يجهلون أن هذه الأنواع من العبادة، ويحسبون أن هذا العمل من محبة الصالحين ومن أنواع التوسل بالصالحين.

إذاً لم يتبين لهم الحق، وإنما يحكم على الإنسان بالكفر دون تردد بالنسبة لمن تبين له الحق ﴿ **وَمَن يُشاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الهُدى** ﴾ [النساء: ١١٥]، هؤلاء هم الذين يحكم عليهم بالكفر، أما الذين لم يخالفوا الله ورسوله بعد أن تبين لهم الهدى وبعد أن تبين لهم الحق، ولكن ظناً منهم أنهم على الحق وأنهم على الهدى، ولم يجدوا طلاب علمٍ وعلماء يبينوا لهم ذلك نرجو أن يعذروا، ولكن في مثل هذه الانفتاحات العامةً إذا علموا وسمعوا بواسطة المذياع ووسائل أخرى مثل هذه الأشياء، عليهم أن يبحثوا ويجتهدوا ليخرجوا من هذه الجاهلية إلى الإسلام الصحيح .

وغير ذلك من العبادة التي أمر الله بها، كلها لله، والدليل قوله تعالى: ﴿ **وَأَنَّ المَسَاجِدَ لِلهِ فَلا تَدعُوا مَعَ اللهِ أَحَداً** ﴾[الجن : ١٨]، فمن صرف منها شيئاً لغير الله فهو مشرك كافر، على التفصيل الذي تقدم، بعد أن نفصل ما فيه التفصيل، وبعد أن تأكد بأن الحجة قامت عليهم وأنهم شاقوا الله ورسوله من بعد ما تبين لهم الحق، وقبل ذلك لابد من التريث في مسألة التكفير كما تقدم غير مرة.



المتن

📖 قال الإمام المصنف – رحمه الله تعالى -:

ودليل الخوف؛ قوله تعالى: ﴿ فَلَا تَخَافُوهُم وَخَافُونِ إِنْ كُنتُمْ مُؤمِنِينَ ﴾[آل عمران : ١٧٥]، ودليل الرجاء؛ قوله تعالى: ﴿ فَمَنْ كَانَ يَرجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعمَلْ عَمَلاً صَالِحَاً وَلَا يُشرِك بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدَاً ﴾[الكهف : ١١٠]، ودليل التوكل؛ قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهوَ حَسْبُهُ ﴾[الطلاق: ٣]، وقوله تعالى: ﴿ وَعَلَى اللهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنتُم مُؤمِنِينَ ﴾[المائدة : ٢٣]، ودليل الرغبة والرهبة والخشوع؛ قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُم كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبَاً وَرَهَبَاً وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِين ﴾[الأنبياء : ٩٠]، ودليل الخشية؛ قوله تعالى: ﴿ فَلَا تَخشَوهُم وَاخْشَونِ ﴾[المائدة: ١٥٠]، ودليل الإنابة؛ قوله تعالى : ﴿ وَأَنِيبُوا إِلى رَبِّكُم وَأَسلِمُوا لَهُ ﴾ [الزمر : ٥٤]، ودليل الاستعانة؛ قوله تعالى : ﴿ إِيَّاكَ نَعبُدُ وإِيَّاكَ نَستَعِين ﴾ [الفاتحة: ٥] و في الحديث : « إذا استعنت فاستعن بالله »(١)، ودليل الاستعاذة؛ قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَعوذُ بِربِّ النَّاس ﴾[الناس : ١]، ودليل الاستغاثة؛ قوله تعالى: ﴿ إِذْ تَستَغِيثُونَ رَبَّكُم فَاسْتَجَابَ لَكُم ﴾[الأنفال : ٩]، ودليل الذَّبح؛ قوله تعالى: ﴿ قُل إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحيَايَ وَمَمَاتِي لِلهِ رَبِّ العَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرتُ وَأَنَا أَولُ المُسلِمِينَ ﴾[الأنعام : ١٦٢ - ١٦٣]، ومن السُّنَّة: « لَعنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيرِ اللهِ » (٢)، ودليل النذر؛ قوله تعالى: ﴿ يُوفُونَ بالنَّذرِ وَيَخَافُونَ يَوماً كَانَ شَرُّهُ مُستَطِيراً ﴾[الإنسان : ٧].

(١) أخرجه الترمذي: ٢٥١٦، وأحمد في مسنده: ٢٧٦٣، وصَحَّحه الألباني في صحيح الجامع: ٧٩٥٧ .

(٢) أخرجه مسلم: ١٩٧٨، وأحمد في مسنده: ٩٥٤، وصَحَّحه الألباني في صحيح الجامع: ٥١١٢ .

الشرح

قال المؤلف - رحمه الله تعالى - بعد أن عدد أنواعاً من العبادات ، التي لا يجوز صرفها لغير الله تعالى بدءاً من الإيمان، والإسلام، أو الإسلام، والإيمان، وانتهاءً إلى الذبح والنذر، ثم قال:

((وغير ذلك من أنواع العبادة التي أمر الله بها - كلها لله؛ والدليل قوله تعالى:

﴿ وأنَّ المَساجِدَ لِلهِ فلا تَدعُوا مَعَ اللهِ أَحَداً ﴾ [الجن : 18] **)).**

ثم قال: **((فمن صرف منها شيئاً لغير الله؛ فهو مشرك كافر)):**

عند هذه الجملة لابد من الوقوف والتفصيل، فمن صرف منها شيئاً لغير الله تعالى فهو مشرك كافر، الأصل فيمن صرف هذه الأنواع أو أي نوع من هذه الأنواع لغير الله تعالى أنه مشرك شركاً أكبر، وكافر خارج من الملة هذا الأصل.

ولكن هل كل من صرف نوع من هذه الأنواع لغير الله تعالى، وكل من فعل كفراً فهو يكفر؟ وكل من ارتكب شركاً فهو مشرك؟ أو لابدَّ من التفصيل؟

قد يقول المرء كفراً ولا يكفر وغيره يكفر، وقد يفعل فعلاً كفرياً يكفر أحدهم والآخر لا يكفر، أحوال الناس تختلف وظروف الناس تختلف ومفاهيمهم كل ذلك لابدَّ من ملاحظتها، وهذا الإطلاق على الأصل هكذا، ولكن إذا راجعنا أحوال الناس واختلافهم في الفهم وعدم الفهم والظروف التي يعيشون فيها والبيئة التي نشأوا فيها نجد الناس بينهم اختلافا شديدا.

ولشيخ الإسلام ابن تيمية تفصيل طويل في مثل هذا المقام، أي فيمن يأتي بالمكفرات، حيث يَكفُر بعضهم وبعضهم لا يَكفُر، فنحن نعيش بين ناس نعرف

عقائدهم وموقفهم من الإسلام لذلك لابد من التفصيل، من لم يتبين له الهدى، وظنَّ أن ما هو عليه هو الإسلام الذي جاء به رسول الله ﷺ، وحالت بينه وبين الفهم الصحيح شُبَه، وجَهل، وإشكال في كلام المشايخ والمنتسبين إلى العلم، الذين لا يُفرِّقون بين الشرك وبين التوحيد، نشأوا في مثل تلك البيئة وظنوا أن ما هم عليه هو الإسلام ويسمعون من بعض المشايخ من يقول: إن الذبح لغير الله، والنذر للصالحين، والطواف بأضرحتهم، ودعاءهم، والاستغاثة بهم، كل ذلك من محبة الصالحين ولا يضر التوحيد وليس بشرك، نشأوا في مثل هذه البيئة وظنوا أن هذا هو الحق، أمثال هؤلاء لابد أن يعذرون حتى ينتقلوا من تلك البيئة ويفهموا حقيقة دين الإسلام الفهم الصحيح، عندما يفصل شيخ الإسلام هذا التفصيل يستدل بآيتين من سورة البقرة: ﴿ لا يُكلِّفُ اللهُ نَفْساً إلَّا وُسْعَها ﴾ [البقرة: ٢٨٦]، ﴿ ربنا لا تُؤَاخِذنَا إنْ نَسِينَا أَو أَخْطَأْنا ﴾ [البقرة: ٢٨٦]، وفي آية سورة النساء: ﴿ وَمَنْ يُشاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الهُدى ويَتَّبِع غَيرَ سَبيلِ المُؤمِنينَ نُوَلِّهِ مَا تَولَّى وَنُصْلِهِ جَهنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً ﴾ [النساء: ١١٥]، أما من لم يتبين له الهدى، ولم يتعمد مشاقّة الله ومشاقة رسوله ﷺ، بل ظن أن ما يفعله هو الهدى وهو الحق الذي جاء به الرسول ﷺ، لابد من بيان الحق له أولاً، ودعوتهم ومحاولة إصلاحهم، فإذا تبين له و تعصب بعد ذلك لمألوفاته وتقاليده يحكم عليه بعد ذلك أنه كافر كفراً بواحاً ومشرك شركاً أكبر، لابد من هذا التفصيل، كما نفهم ذلك من واقع الناس لأنك لو وعظت هؤلاء الذين يشركون بالله هذا الشرك الأكبر، وذكَّرتَهم بالله، وذكرت لهم الجنّة والنّار، وأسمعتهم نصوص الوعد والوعيد، لوجدتهم يتأثرون تأثراً بالغاً، بمعنى لم يصب قلوبهم شيء من الخراب، خراب القلب هو الكفر، طالما يوجد في قلب المرء خشية وخوف من الله، والرجاء فيما عند الله، ولكنه أخطأ الطريق الموصلة إلى الله، وجعل يتخبط هنا وهناك، وهو يحسب أنه يسير إلى الله سيراً صحيحاً، مثل هؤلاء يُعذَرون حتى يتبيَّن لهم الهدى، لابد من هذا التفصيل.

ثم قال الشيخ - رحمه الله تعالى - :

((والدليل على ما تقدم قوله تعالى : ﴿ وَمَن يَدعُ مَعَ اللهِ إِلَهاً آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُه عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفلِحُ الكَافِرُون﴾ [المؤمنون: ١١٧])).

لفظة إله: تُطلَق على المعبود بالحق وعلى المعبود بالباطل، ولكنَّ لفظة الله لفظ الجلالة لا تُطلَق إلا على المعبود بالحق، خالق السماوات والأرض، أما لفظة إله كل ما عبد، ومن عبد من دون الله من شجر وحجر وجني وإنسي وشمس وقمر وضريح وقبر يطلق عليهم لغة أنه إله أي مألوه، المعبود الذي عبده الناس سواء كان بالحق أو بالباطل.

لذلك اشتملت كلمة التوحيد على الكفر والإيمان، لا إله إلا الله:

❁ لا إله: كفر بما يعبد من دون الله. ❁ إلا الله: إثبات العبادة للخالق الحق.

أي تشتمل كلمة التوحيد على النفي والإثبات، وعلى الكفر والايمان، ولابدَّ من ذلك، لابدَّ من الجمع بين الكفر والايمان، وبين النفي والإثبات، وإلا لو قلت: الله ربي وعبدته، ومع ذلك تعبد غيره معه لم تنف عبادة غيره، لا بالنفي ولا بالفعل، ما نفعك توحيدك، لو عبد إنسان طول حياته الله رب العالمين ولكن يعبد معه غيره ولم يكفر بعبادة غيره ما نفعته تلك العبادة، إنما تنفعك عبادة الله إذا كفرت بعبادة غيره.

﴿ **وَمَن يَدعُ مَعَ اللهِ إِلهاً آخَرَ** ﴾ لاحظ أنه قال: ﴿**مع الله**﴾،و لم يقل: من يدع من دون الله، وذلك أبلغ، وإذا دعوت مع الله غير الله ما نفعتك العبادة وإذا دعوت غير الله من دون الله فمن باب أولى، ثم قال: ﴿ **لَا بُرهَانَ لَهُ بِهِ** ﴾ هذه الجملة حالية، والحال في المعنى وصف وهي صفةٌ كاشفة، معنى الصفة الكاشفة لا مفهوم لها، أي لا يوجد إله يعبد من دون الله وللعابد حجةٌ، المراد بالبرهان الحجة والدليل، لفظة برهان وحجة وسلطان بمعنى الدليل، من يعبد مع الله غير الله لا دليل له قطعاً، ولذلك تسمى صفة كاشفة لا مفهوم لها، ﴿ **فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ** ﴾ لم يقل أو لم يعين نوع هذا الحساب، وفي هذا الابهام وعيد شديدٌ في أسلوب القرآن، إذا أراد

تعظيم العذاب وتهويل العذاب يُبهِم، والابهام نوع من تعظيم العذاب، وتهويل العذاب، وتهويل الموقف، حسابه عند الله هو الذي يعلم كيف يحاسبهم لأنه يعلم قلبه كما يعلم ظاهره، يترك أمره إلى الله، كأنك قلت أمره إلى الله وهو الذي يحاسبه بما يستحق، ثم قال: ﴿ إِنَّهُ لا يُفلِحُ الكَافِرُون ﴾ دليل على أن من عبد غير الله مع الله فإنه كافر، سواء كان الكفر كفراً أكبر أو كفراً أصغر، إن كان معذوراً كما أشرنا إلى التفصيل، ويكون كفره كفرٌ دون كفر، وإن كان غير معذور، قامت عليه الحجة، وتبين له الحق والهدى، فخالف، فكفره كفرٌ بواح ناقل من الملة.

((وفي الحديث: « الدُّعاءُ مُخُّ العِبادَة »)) وفي حديث آخر: « الدُّعاءُ هو العِبادَةَ » ، معناهما واحد، مخ الشيء خالصه، الدعاء خالص العبادة، لأن العبد إذا دعا الله لجأ إليه، واعترف بفقره وغنى ربه، من هنا يكون الدعاء خالص العبادة، ومخ العبادة، وهو العبادة وحده.

((﴿ وَقَالَ رَبُّكُم ادْعُونِي استَجِبْ لَكُم إِنَّ الَّذِينَ يَستَكبِرُونَ عَن عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِين ﴾ [غافر: ٦٠])).

قال: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَستَكبِرُونَ عَن عِبادَتِي ﴾ سَمَّى الدعاء عبادة، الذين يستكبرون عن الدعاء إما تكبراً أو إعراضاً أو إشراكاً سيدخلون جهنم داخرين صاغرين كما تكبروا ولم يخضعوا لله سبحانه و تعالى وحده وأشركوا معه غيره.

((ودليل الخوف؛ قوله تعالى: ﴿ فَلا تَخَافُوهُم وَخَافُونِ إِنْ كُنتُم مُؤمِنِينَ ﴾)).

شرطٌ وجواب ﴿ إِنْ كُنتُمْ مُؤمِنِينَ ﴾ هذا شرط، فأين الجواب ؟ الجواب إما متقدم أو محذوف يدل عليه المتقدم، ﴿ وَخَافُونِ ﴾، فعل (وخافونِ): لك أن تعتبره هو الجواب، جواب الشرط عند من يجيزون تقديم الجواب على الشرط وهم البصريون وبعض الكوفيين وعند غيرهم، الجواب محذوف يدل عليه ما قبله؛ (إن كنتم مؤمنين خافون)، والمعنى واحد، سواء قدرت الجواب أو قلت أنه المتقدم المعنى واحد، لابد من أخذ الآية بمنطوقها ومفهومه.

المَنطُوق: إن كنتم مؤمنين خافونِ، والمَفهُوم: من لم يخف الله ويفرده بالخوف منه ليس بمؤمن.

وقد سبق أن فصلنا الكلام في الخوف، وهذا الخوف خوف عبادة كخوف السر، أما الخوف الطبيعي كأن يخاف الإنسان من عدوه الذي هو أقوى منه ويخاف من النار ويخاف من الأسد هذا يسمى خوف طبيعي ليس خوف عبادة، هذا الخوف الذي هو يعتبر شركاً إذا صرف لغير الله تعالى؛ كأن تخاف من مخلوق خوف السر، أي لا تخاف من ضربه وبطشه، ولكن تخاف من أن يؤثر فيك بسره، بكرامته كما يسمون، وهذا هو الشرك الأكبر، وهذا المعنى يقع فيه كثير من عوام المسلمين الذين يتربون في أحضان المتصوفة، الذين يربون الناس على الإعراض عن الله، والخوف من عباد الله، ويجعلون أنفسهم وسطاء بين العباد وبين ربِّ العباد، ويحثونهم أنْ يخافوا من المشايخ، ويرجونهم، ويتملقوا لهم، وليس عليهم شيء بعد ذلك، هم أهل الجنة، طالما يخلص الخوف والرجاء والرغبة للشيخ فهو من أهل الجنة، يعني يدعوه، يدعوه إلى الكفر، ثم يَعِدُه بالجنة!، تناقضاتٌ عجيبة.

((ودليل الرجاء؛ قوله تعالى: ﴿ فَمَنْ كانَ يَرجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعمَلْ عَمَلاً صَالِحَاً وَلَا يُشرِك بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً ﴾ [الكهف: ١١٠])) يعني يرجو غير الله مع الله كما تقدم الآن في الكلام السابق ﴿ فَمَنْ كَانَ يَرجُو لِقَاءَ رَبِّهِ ﴾ بعد الموت بعد البعث من يرجو لقاء ربه، ويؤمن بلقاء ربه ﴿ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحَاً ﴾ العمل الصالح العمل الماشي على السنة الموافق للسنة إذا كان صالحاً وكان خالصاً نفعك.

العمل الصالح المقيد بالسنة الخالص ما أردت به وجه الله، لذلك قال تعالى: ﴿ وَلَا يُشرِك بِعِبَادَةِ رَبِّهِ ﴾ بما في ذلك الرجاء ﴿ لَا يُشرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً ﴾ لأن الله هو الذي بيده كل شيء، فليخلص الرجاء لله سبحانه وتعالى.

((ودليل التوكل؛ قوله تعالى: ﴿ وَعَلَى اللهِ فَتَوَكَّلُوا إنْ كُنتُم مُؤمِنِينَ ﴾ [المائدة: ٢٣])).

هنا في جواب الشرط يقال ما تقدم إذا فهمت في آية واحدة طبق بعد ذلك، أي جواب الشرط إما متقدم أو محذوف، ﴿ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنتُم مُؤمِنِين ﴾ إما أن تقول: (إنْ كنتم مؤمنين فتوكلوا) على أن جواب الشرط محذوف دلَّ عليه ما تقدم، أو فتوكلوا المتقدم هذا هو جواب الشرط المعنى واحد.

التوكل على الله: هو الاعتماد القلبي، التوكل عمل قلبي لا يكون التوكل إلا على الله، لا يجوز الاعتماد في رزقك، في هدايتك، في صلاحك، وصلاح ذريتك، وصلاح شؤونك، لا يجوز الاعتماد إلا على الله مطلقاً، والاعتماد على بعض الأسباب بالقلب نوع من الشرك، مزاولة الأعمال ومباشرتها مشروع، ولكن الاعتماد على تلك الأسباب من الشرك، الاعتماد على الله وحده.

((ودليل الرغبة والرهبة والخشوع؛ قوله تعالى وهو يصف بعض الأنبياء: ﴿ إنَّهُم كَانُوا يُسارِعُونَ فِي الخَيرَاتِ ﴾ { الأنبياء: ٩٠ })) .

﴿ وَزكَرِيَّا إذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذرْنِي فَرداً وَأَنْتَ خَيرُ الوَارِثِينَ ۞ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحيَى وَأَصلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُم كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الخَيرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِين ﴾ [الأنبياء: ٨٩-٩٠] ، من صفات الأنبياء الصالحين أنهم يدعون الله رغبة ورهبة ﴿ إنَّهُم كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الخَيرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبَاً وَرَهَبَاً وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِين ﴾، ﴿وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِين﴾ بأسلوب الحصر، ﴿ **وكانوا لنا خاشعين** ﴾ أين الحصر؟

تقديم المعمول على العامل يفيد الحصر، أين العامل؟ وأين المعمول الذي تقدم الدي أفاد الحصر؟ ﴿ وكانوا لنا خاشعين ﴾ في هذا الأسلوب حصر وقصر لتقدم المعمول على العامل، عَيِّن العامل وعَيِّن المَعمول، أين العامل؟ وأين المعمول؟

العامل: الأفعال، والمشتقات من الأفعال هي التي تعمل، **والمَعمُول:** الفاعل معمول، والمفعول به معمول، الظرف معمول، الجار والمجرور معمول، أين هنا المعمول الذي تقدم على عامله؟ ﴿ لنا ﴾ الجار والمجرور في ﴿ **لنا** ﴾: **معمول** لخاشعين، و﴿**خاشعين**﴾: **هو العامل**، لأن التقدير هكذا وكانوا خاشعين لنا، لو عَبَّر بهذا التعبير في غير القرآن مثلاً لو قلنا: (وكانوا خاشعين لنا)، لا يفيد المعنى الذي يفيد عند التقديم كانوا خاشعين لنا لا يمنع أن يكونوا خاشعين لغيرنا ولكن إذا قال: وكانوا لنا، لنا وحدنا خاشعين لا يخشون لغيرنا، هكذا يفيد تقديم المعمول على العامل أي تقديم الجار والمجرور الذي هو [**لنا**] على الخاشعين، والخاشعين من حيث الإعراب خبر كانوا، كان الواو اسم كان وخاشعين خبر كان، ولكن خاشعين تعمل لأن الجار والمجرور متعلق بخاشعين، والله أعلم .

((ودليل الإنابة؛ قوله تعالى: ﴿ وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له ﴾[الزمر : ٥٤])).

الإنابة: الرجوع والتوبة إلى الله، وتسليم الأمر لله، كل ذلك لا يكون إلا لله.

((ودليل الخشية؛ قوله تعالى: { فلا تخشوهم واخشون } [المائدة: ٣] **)) .**

هذا دليل فيه نهي عن خشية غير الله وأن تكون الخشية لله، **والخشية بمعنى الخوف** وقد تقدم التفصيل في الحوف التفصيل الذي تقدم هناك يطبق هنا.

((ودليل الاستعانة؛ قوله تعالى : { إياك نعبد وإياك نستعين } [الفاتحة: ٥] **))**

إذا كنتم توقفتم في تقديم العامل على المعمول فيما تقدم، هنا لا تتوقفوا أبداً.

فرق بين (نعبد إيَّاك) وبين (إيَّاك نعبد)، (نستعين إيَّاك) و(إيَّاك نستعين).

تقديم المعمول الذي هو إيَّاك في الفعلين يفيد الحصر، إيَّاك وحدك نعبد لا نعبد غيرك، ولا نعبد معك سواك، وإيَّاك وحدك نستعين لا نستعين إلا بك، تقدم التفصيل في الاستعانة، يجوز للإنسان أن يستعين بغير الله فيما يقدر عليه ذلك الغير، كأن

يطلب منه أن يرفع له متاعه على دابته وعلى سيارته أو يرفع له السوط الذي سقط من يده مثل هذا جائز، أو يعيره القلم وهو في الاختبار وغير ذلك من الأمور المعروفة.

((في الحديث: ﴿ إذا اسْتَعَنْتَ فاستعن بالله ﴾)) فيما لا يقدر عليه إلا الله، وإذا استغثت كذلك فاستغث بالله ﴿ إذا سألت فاسأل الله، إذا استعنت فاستعن بالله ﴾.

((ودليل الاستعاذة؛ قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ۞ مَلِكِ النَّاسِ ﴾ [الناس: ١-٢]))

الاستعاذة بمعنى: اللجوء والالتجاء.

قد يلتجأ الإنسان إلى غير الله فيما يقدر عليه ذلك، كأن يلتجأ إلى عظيم من العظماء ليحميه من عدوه ويدخل بلده أو يمر في بلده، مثل هذا جائز.

((ودليل الاستغاثة؛ قوله تعالى: ﴿ إِذْ تَستَغِيثُونَ رَبَّكُم فَاستَجَابَ لَكُم ﴾ [الأنفال: ٩])) واضح .

((ودليل الذبح؛ قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحيَايَ وَمَمَاتِي لِله رَبِّ العَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرتُ وَأنَا أَوَّلُ المُسلِمِين ﴾ [الأنفال: ١٦٢-١٦٣]))

الشاهد: ﴿**وَنُسُكِي**﴾.

النسك: هو الذبح.

النسك: العبادات أو أنواع من الذبح يتقرب العبد من الله سبحانه وتعالى بإراقة الدم في يوم العيد **بذبح الهدي والأضحية**، وكذلك السنة المشروعة في **العقيقة**، هذه من **أنواع الذبائح** التي تعتبر **عبادة**، ولو ذبح شاة لأولاده أو لضيوفه لا يعتبر ذلك عبادة أي ليس كل ذبح عبادة، إنما الذبح الذي يقصد به التقرب، التقرب لا يكون إلا لله، وذلك كيف يصرف؟ ما معنى صرف الذبح لغير الله تعالى؟ وهذا شيء معروف لدى جمهور عوام المسلمين إلى يومنا هذا، كثيرٌ منهم إذا سافر أو رجع من السفر بالسلامة ولا سيما في سفر الحج بادر بكبشه إلى الشيخ، إما يذبحه في بيته باسم الشيخ ومحبة الشيخ وتقرباً إلى الشيخ أو يأخذه إلى ضريحه فيذبحه عند الضريح، زاد الطين بلة، هذه الذبائح لا يحل أكلها، ولو قال عند قطع الرقبة: باسم الله، طالما تقرب بهذه الذبيحة إلى غير الله تعالى، التلفظ بالبسملة كلمة جوفاء يقولها عند قطع

الرقبة بسم الله، لا تفيده، لأنها إنما ذبحت لغير الله فليفهم هذا جيداً، من تقرب بذبيحة من الذبائح سواء ذبحها في بيته أو عند قبر الشيخ طالما أخذ ونوى التقرب بهذه الذبيحة إلى غير الله تعالى فهي جيفة ميتة.

((ومِن السُّنَّة : « لَعَن الله مَن ذَبَحَ لغيرِ اللهِ »)) .

الذبح لغير الله لا يستشكل على كثير من شبابنا الذين نشأوا في الإسلام ولا يعرفون شيئاً من ذلك، لكن مَن يصغي إلى الخارج، وما الذي يجري في كثير من الأقطار، فإن أكثر التقرب إلى المشايخ بالذبائح.

((ودليل النذر؛ قوله تعالى: ﴿ يُوفُونَ بِالنَّذرِ وَيَخَافُونَ يَومَاً كَانَ شَرُّهُ مُستَطِيرَاً ﴾ [الإنسان: ٧].

)) النذر عبادة غريبة، بمعنى لم يحث الشارع على النذر بل حث على عدم النذر: **« إنَّ النَّذرَ لا يأتي بخيرٍ »** (١)، وإنما شيء يخرج الله به من يد البخيل، البخيل الذي لا يتصدق يخرج الله من يده بالمرض، يمرض أو يمرض ولده فيقول: إن شفى الله مريضي أو رد الله علي ضالتي أو نجح ابني في الدور الأول أذبح لله سبحانه وتعالى كبشاً أطعم الفقراء، كان بخيلاً لا يجود، لكي يذبحه ويطعم الفقراء أخرج الله من يده هذا الكبش بهذا النذر، إذاً النذر لا يأتي بخير، وجه غرابته وندارته ومخالفته لسائر العبادات لم يحث الشارع على النذر، ولكن أوجب الوفاء، من نذر وجب عليه الوفاء **« من نذرَ أنْ يُطيع الله فَلْيُطِعهُ »**(٢) لكن ابتداء ليس محل الحث، ولكن عند الإيفاء واجب إيفاء النذر.

❁ ❁ ❁

(١) أخرجه البخاري: ٦٦٠٨، ومسلم: ٤٢١٣، واللفظ الذي ذكره الشيخ –رحمه الله- أورده النسائي في سننه: ٣٨٠١، وصححه الألباني في إرواء الغليل: ٢٥٨٥ .

(٢) أخرجه البخاري: ٦٦٩٦، والترمذي: ١٥٢٦ .

المتن

📖 قال الإمام المصنف - رحمه الله تعالى -:

الأصل الثاني: معرفة دِين الإسلام بالأدلة، هو: الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والبراءة من الشرك وأهله.

وهو ثلاث مراتب: الإسلام، والإيمان، والإحسان.

وكل مرتبة لها أركان.

فأركان الإسلام خمسة: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج بيت الله الحرام.

فدليل الشهادة؛ قوله تعالى: ﴿ شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالمَلَائِكَةُ وأُولُوا العِلْمِ قَائِمَاً بِالقِسطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ ﴾[آل عمران: ١٨]، ومعناه: لا معبود بحق إلا الله.

(لا إله) نافياً جميع ما يعبد من دون الله.

(إِلَّا الله) مثبتاً العبادة لله وحده.

لا شريك له في عبادته، كما أنه لا شريك له في ملكه.

وتفسيرها الذي يوضحها؛ قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَومِهِ إِنَّنِي بَرَآءٌ مِمَّا تَعبُدُونَ ۞ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهدِينِ ۞ وجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُم يَرجِعُونَ ﴾[الزخرف : ٢٦ - ٢٨]، وقوله تعالى : ﴿ قُلْ يَا أَهلَ الكِتَابِ تَعَالَوا إِلَى

كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَينَكُم أَلَّا نَعبُدَ إِلَّا اللهَ وَلَا نُشرِكَ بِهِ شَيئَاً وَلَا يَتَّخِذَ بَعضُنَا بَعضَاً أَرْبَابَاً مِنْ دُونِ اللهِ فَإِنْ تَوَلَّوا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسلِمُونَ ﴾ [آل عمران : ٦٤].

ودليل شهادة أنَّ محمداً رسول الله؛ قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ جَاءَكُم رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُم عَزِيزٌ عَلَيهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيكُم بِالمُؤمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ [التوبة : ١٢٨].

ومعنى شهادة أن محمداً رسول الله: طاعته فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر، واجتناب ما عنه نهى وزجر، وألا يعبد الله إلا بما شرع.

ودليل الصلاة، والزكاة، وتفسير التوحيد؛ قوله تعالى: ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ القَيِّمَةِ ﴾[البينة: ٥].

ودليل الصيام؛ قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيكُم الصِّيَّامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُم لَعَلَّكُم تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة : ١٨٣].

ودليل الحج؛ قوله تعالى: ﴿ وَلِلهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ البَيتِ مَن اسْتَطَاعَ إِلَيهِ سَبِيلاً وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنِ العَالَمِينَ ﴾ [آل عمران : ٩٧] .

الشرح

قال الإمام محمد بن عبدالوهاب – رحمه الله تعالى - :

((الأصل الثاني)) بعد أن تحدث عن الأصل الأول الذي هو: معرفة الله تعالى.

((الأصل الثاني: معرفة دين الإسلام، معرفة دين الإسلام بالأدلة)).

قال الشيخ - رحمه الله تعالى - :

((وهو: الاستسلام لله تعالى بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والخلوص من الشرك)) هذا تعريف الإسلام.

تعريف الإسلام: الاستسلام لله تعالى بالتوحيد.

بمعنى: إذا ذكر الإسلام وحده هكذا يدخل معه إيمان القلب، الإسلام والإيمان إذا ذكرا معاً يفرق بينهما في المعنى، كما في حديث جبرائيل، يفسر الإيمان بأعمال القلوب ويفسر الإسلام بأعمال الجوارح، ولكن إذا ذكر الإسلام وحده دخل معه الإيمان، وإذا ذكر الإيمان وحده دخل معه الإسلام.

لذلك يقول الإمام هنا :

((الإسلام: هو الاستسلام لله بالتوحيد)) أول شيء: الاستسلام لله بالتوحيد، بالإفراد، إفراد الله تعالى بالعبادة يعتبر إسلاماً ويعتبر إيماناً، كما انفرد الرب سبحانه وتعالى بأفعاله، بالخلق والرزق والإحياء والإماتة والإعطاء والمنع، يجب إفراده سبحانه وتعالى بأفعال العباد، بالدعاء والاستغاثة والنذر وغير ذلك من الأنواع التي تقدم ذكرها، هذا يُسمى إسلاماً ويسمى إيماناً.

((والانقياد له بالطاعة)) أشار هنا إلى أفعال الجوارح، الاستسلام له بالتوحيد أعمال القلوب لأن أصل التوحيد ينبعث من إيمان القلب، لذلك العقيدة جانب مهم من الإيمان ومن يدعي الإيمان وهو لا يحقق العقيدة إيمانه دعوى، لأن العقيدة الجانب المهم من الإيمان.

لأن **الإيمان**: اعتقاد بالقلب، وعمل بالجوارح، ونطق باللسان.

الاعتقاد بالقلب هو الذي يسمى عقيدة، وهو الإيمان، وهو العقيدة، لذلك ليست العقيدة مادة خاصة يَدرسها طلاب العلم المنتسبون إلى الجامعات والمعاهد، بل العقيدة عِلم، لا يستغني عنها أي مسلم ومسلمة.

والانقياد له بالطاعة، طاعة الله تعالى وطاعة رسوله ﷺ، فرسول الله ﷺ له الطاعة المطلقة غير المقيدة، وطاعة غيره من المخلوقين مقيدة، كطاعة ولاة الأمور وطاعة الوالدين هذه مقيدة، أما طاعة الرسول ﷺ هذه طاعة مطلقة ﴿ أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ﴾ [النساء: ٥٩]، عطف طاعة الرسول على طاعة الله تعالى وأعاد الفعل ﴿ أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمرِ مِنْكُم ﴾ [النساء: ٥٩]، عند ذكر أولي الأمر لم يُعد الفعل، لأن طاعتهم تابعة لطاعة الله تعالى وطاعة رسوله ﷺ، أما إذا أمر الرسول أو نهى لا نبحث عن وجود ذلك في الكتاب، نطيعه طاعة مطلقة ولو لم يرد المأمور به على لسان الرسول ﷺ في القرآن، ولو لم يرد المنهي عنه على لسان الرسول ﷺ في القرآن يجب علينا طاعته، هذا هو معنى الطاعة المطلقة، وأمثلة ذلك يعرفها من يدرس الأحكام الفقهية، لأن في الأحكام هناك أحكام جاءت في الكتاب، وهناك أحكام انفردت بها السنة ولا فرق بينهما، كذلك في باب الأسماء والصفات، صفات اتفقت عليها نصوص الكتاب والسنة وصفات جاءت في السنة فقط ولم يأت ذكرها في الكتاب لا نتوقف عند تطبيقها على ورودها في الكتاب، هذه نقطة مهمة يجب أن يعلمها طلاب العلم لا يظنوا أن السنة قد لا تنفرد، بل السنة قد تنفرد، السنة تأتي موافقة وتأتي مؤسسة وتأتي مؤكدة، سبق أن ذكرنا هذا غير مرة.

((والخلوص من الشرك)) من تعريف الإسلام: **(الخلوص من الشرك)**، لأن التوحيد إذا لم يكن خالصاً لله لا يُقبَل، كذلك الطاعة إذا لم تكن خالصة لله لا تقبل، لأن الله أغنى الشركاء كما أخبر عن نفسه سبحانه وتعالى في الحديث القدسي: **« أنا أغنى الشركاء عن الشِّرك، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشِركه »** [أخرجه مسلم: ٢٩٨٥]، أو كما قال، الأعمال لا تقبل إلا إذا كانت خالصة ، والتوحيد لا يقبل إلا إذا كان خالصاً.

إذاً الاستسلام بالتوحيد، والانقياد بالطاعة، والخلوص من الشِّرك كله، وأن يكون ذلك خالصاً لله تعالى، هذا هو الإسلام، وهذا هو الإيمان.

ثم قال الشيخ - رحمه الله -: **((وهو ثلاث مراتب))** وهو الدِّين، الضمير راجع للدِّين، الإسلام ، وهو أي الدِّين الإسلامي الذي جاء به رسول الله ﷺ **ثلاث مراتب:**

- **المرتبة الأولى:** الإسلام.
- **والمرتبة الثانية:** الإيمان.
- **المرتبة الثالثة:** الإحسان.

بناء ضخم، واسعٌ أسفله، وكُلَّما يرتفع ويرتقي يضيق حتى يصل إلى القمة.

الإسلام أوسع: لأن الإسلام الاستسلام الظاهري، قد يدخل فيه إسلام المنافقين.

والإيمان أضيق وأخصّ: لأن الإيمان لابد أن يكون هناك تفريق بالقلب زيادة على الاستسلام الظاهري.

والإحسان في القمة: أي الإحسان الإتقان.

المحسنون خُلَّص المؤمنين، إذا وصل الإنسان إلى درجة الإحسان كان مسلماً مؤمناً، ازداد زيادة بزيادة الأعمال حتى قوي إيمانه وارتقى وقوي ووصل إلى درجة من شدة مراقبة الله تعالى أنه يعبد الله كأنه يشاهده، تؤثر فيه مراقبة الله ومحبة الله وخشية الله إلى درجة أنه يعبد الله كأنه يراه، فيشاهده إيماناً منه بأنه تحت عين الله دائماً وأبداً، فالله يراه ويسمعه ويعلم منه كل شيء، الوصول إلى هذه الدرجة ليست بالحكاية كما نحكي، ولكن بالعمل، وقلَ من يصلون إلى هذه الدرجة.

درجة الإحسان؛ لا يصل المرء إلى هذه الدرجة إلا بالعلم واليقين والصبر، لذلك نحث شبابنا الطيبين الذين يرغبون كثيراً في الجهاد ويقولون في هذه الأيام ما العلم وما العلم؟!!، الجهاد الجهاد، نصيحتنا لهم: هذا غرور وخديعة شيطانية أيما فكرة وأيما جماعة وأيما شخص يحثك على ترك العلم والاندفاع إلى الجهاد، يزين لك ما ظاهره عملاً صالحاً ليس بصالح.

لا تعرف درجة المجاهدين، ولا تصل إلى درجة المجاهدين ودرجة الإحسان والقرب من الله إلا بالعِلم، العِلم هو الطريق.

قد يُزيِّن لك بعض الناس الجهاد وتنقطع عن العلم، تدور سنة سنتين، الجهاد الجهاد، لا جاهدت ولا تعلمت، هذا واقع كثيرٌ من الشباب تزيين من الشيطان اجتهد في تحصيل العلم في بعض الفرص، اذهب فجاهد تدرب أولاً وتعلم ثم جاهد، هكذا يفعل كثيرٌ من الشباب المخلصين الذين نرجو أن يكونوا مخلصين وهم يجاهدون من وقتٍ لآخر في صمت تام، دون جعجعة.

أما اتخاذ الجهاد شعاراً أجوف ـ الجهاد الجهاد ـ هكذا كان يفعل بعض الناس، ولما اندلعت الحرب في أفغانستان وقام الجهاد انكشفوا.

تلك ظاهرة حقيقية لا يعلمها إلا المُجَرِّبُون، اسألوا المجربين، لا تتخذوا الجهاد شعاراً أجوف، الجهاد عمل صالح ذروة سنام الإسلام ليس معناه ألفاظ جوفاء ومظاهرات وإعلانات لا، جاهد في سبيل الله سراً، اذهب حيث يوجد الجهاد فجاهد وأنت صامت لا يعلم منك ذلك إلا الله.

قال الشيخ – رحمه الله تعالى -:

((وكل مرتبة لها أركان)) المراتب الثلاث التي يجب أن تحفظ لكل مرتبة أركان.

((فأركان الإسلام خمسة)) أخذاً من قوله ﷺ من حديث عبد الله بن عمر - رضي الله عنه - : **﴿ بُنيَ الإسلام على خمسٍ: شهادةِ أن لا إله إلا الله، وأنَّ محمداً رسول الله، وإقامِ الصلاة، وإيتاءِ الزكاة، وصومِ رمضان، وحجِّ بيت الله الحرام لمن استطاع إليه سبيلاً ﴾** [أخرجه البخاري: ٨، ومسلم: ١٦] .

أخذ الشيخ من هذا الحديث فقال: **((أركان الإسلام خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله))** الشهادة: الإعلان والنطق، النطق باللسان والانقياد لذلك

كما تقدم، **((وأن محمد رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج بيت الله الحرام))** .

((فدليل الشهادة؛ قوله تعالى: ﴿ شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم ﴾ [آل عمران: ١٨] **))** الله سبحانه وتعالى شهد لنفسه بالتوحيد، وشهدت له الملائكة وشهد له المؤمنون.

((معناها: لا معبود بحق إلا الله)): لا معبود **بحقٍ** تقدير، لا معبود بحقٍ أمر ضروري.

ومن يقول: لا معبود إلا الله دون تقدير إما حقٌ أو بحقٍ يخطئ لا يفهم معنى لا إله إلا الله، لأن معنى ذلك ينفي وجوه المعبودات مطلقاً وهذا خلاف الواقع، المعبودون موجودون في كل وقت، ولكن المعبود بحق هو الله وحده.

هذا معنى أن الشهادة تشتمل على الكفر والإيمان ـ الكفر بما يعبد وبمن يعبد من دون الله، والإيمان بعبادة الله وحده، لا معبود بحق إلا الله وحده، وأما من عبد وما عبد منذ أن عبدت الأصنام والأوثان إلى يوم الناس هذا، عبادتهم باطلة وهم في اللغة يطلق عليهم آلهة، كلها آلهة، والعرب كانت تسميهم آلهة، والناس اليوم لما جهلوا اللغة ما يسموهم آلهة، يسمونهم مشايخ والصالحين والأولياء والأضرحة والمقامات أسماءٌ مغيرة فهي آلهة، كل ما عبد من دون الله ولو حجراً أو شجراً أو شيطاناً أو ولياً لا فرق، أي لا فرق بين أن يعبد الإنسان صالحاً أو طالحا أو يعبد شيطاناً، كلها آلهة بالباطل لا تستحق العبادة ولو كانوا من الصالحين.

قال الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ:-

(([لا إله] نافياً)) ـ انتبه لهذا التقدير ـ أي تقول: لا إله، حال قولك نافياً، نافياً حال، تقول أيها الموحد لا إله نافياً جميع ما يعبد من دون الله من الصالحين والطالحين والجمادات والمتحركين كلهم عبادتهم باطلة.

مثبتاً **(([إلا الله]))** أي تقول: إلا الله.

((مثبتاً العبادة لله وحده، لا شريك له في عبادته)) - لسنا بحاجة لنشرح العبادة من جديد وقد تقدم ذكر أنواعها بالتفصيل - **((كما أنه ليس له شريك في ملكه))** هذا استدلال من الشيخ أخذاً بطريقة القرآن التي تقدمت، الاستدلال بتوحيد الربوبية على توحيد العبادة.

قال الشيخ - رحمه الله -: **((لا شريك له في عبادته، كما أنه لا شريك له في ملكه))**.

لا أحد يستطيع أن يقول له شريك في مُلكه، يخلق معه، يرزق معه، إلا من يتجاهل لحاجة في نفسه.

وتفسيرها الذي يوضحها يريد أن يقول الشيخ: هذه الكلمة تفسرها آيات قرآنية كثيرة، وذكر منها بعضها، تفسير لا إله إلا الله في القرآن، آيات قرآنية تفسر لا إله إلا الله منها: **﴿ وَإِذْ قَالَ إِبرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَومِهِ إِنَّنِي بَرَآءٌ مِمَّا تَعبُدُونَ ۞ إِلَّا الَّذي فَطَرَنِي ﴾** [الزخرف: ٢٦-٢٧]، هذه الآية هي معنى لا إله إلا الله حتى في الترتيب:

﴿ إِنَّنِي بَرَآءٌ مِمَّا تَعْبُدُون ﴾ مقابل **لا إله**.

﴿ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي ﴾ مقابل **إلا الله** .

الآية حتى في ترتيبها على ترتيب لا إله إلا الله أي: قدَم البراءة قبل الإثبات والإيمان **﴿ فَإِنَّهُ سَيَهدِين ﴾** سبحانه، **﴿ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُم يَرجِعُون ﴾** [الزخرف: ٢٨] ، الأمة من عقبه عليه السلام من عقب إبراهيم لأنه أبو الأنبياء، فبقيت الكلمة في جميع الأنبياء وفي آخر الأمة، هذه الأمة بقيت كلمة لا إله إلا الله بمعناها.

ومن الآيات التي تفسر لا إله إلا الله:

قوله تعالى: **﴿ قُلْ يَا أَهلَ الكِتَابِ تَعالَوا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَينَنَا وَبَينَكُم ﴾** ماهي؟ **﴿ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللهَ ﴾** بمعنى لا إله إلا الله **﴿ وَلَا نُشرِكَ بِهِ شَيئَاً ﴾** أي وحده، هي كلمة لا

إله إلا الله تماماً ((وَلَا يَتَّخِذَ بَعضُنَا بَعضَاً أَرْبَابَاً مِنْ دُونِ اللهِ)) من أطاع العلماء أو المتبوعين أو المشايخ، سواء، حتى مشايخ القبائل، من أطاعهم في سوالفهم الجاهلية البدوية في التحليل والتحريم قد اتخذهم أرباباً من دون الله، لا تظنوا عندما نقول الحكم بغير ما أنزل الله كفرٌ أن المراد بأن غير ما أنزل الله القوانين المستوردة من الخارج فقط، **لا**.

لو حكم الإنسان بالعادات، والتقاليد، والسواليف المحلية، في التحليل والتحريم، لا فرق بين ذلك وبين القوانين المنظمة التي تستورد من الخارج من الشرق والغرب، طالما صدر الحكم بغير ما أنزل الله فهو حكم جاهلي، فهو كفر، قد يقع أهل البادية في كثير من الأقطار في التحليل والتحريم بسوالفهم من حيث لا يشعرون ويقعون في الحكم بغير ما أنزل الله في بعض الأقطار وفي بعض الأجناس، **مثلاً:**

الإرث خاص بالرجال، وفي بعضهم الإرث للولد البكر فقط، هو الذي يرث الأب المال كله له، وفي بعض الأقطار تحريم بنت العم وبنت الخالة، وبنت العمة جائزة، وهكذا تجد سواليف وعادات تحرم وتحلل، ومشايخ القبائل هم الذين يحكمون في ذلك على جهل وإعراض عما جاء به رسول الله ﷺ، كل ذلك حكم بغير ما أنزل الله ومن الطواغيت، ﴿ وَلَا يَتخذَ بَعضُنا بَعضاً أَربَاباً مِن دُونِ اللهِ فَإنْ تَوَلَّوا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسلِمُون ﴾ [آل عمران: ٦٤].

ثم قال الشيخ - رحمه الله تعالى -:

((ودليل شهادة أن محمداً رسول الله؛ قوله تعالى: ﴿ لقد جاءكم رسولٌ من أنفسكم ﴾ [التوبة: ١٢٨])) .

﴿ رَسُولٌ مِن أَنفُسِكُم ﴾ يختلف علماء التفسير هل الخطاب للعرب أو لجميع المسلمين؟ الجمهور على أن الخطاب للعرب لأنهم أول من وفد عليهم الإسلام، وهم يعتبرون أساتذة لغير المسلمين لغير العرب، أي المسلمون من غير العرب تابعون

للعرب لذلك إذا عزَّ العرب وتمسكوا واهتدوا، الناس تبعٌ لهم، وإذا انحرفوا، الناس تبعٌ لهم أيضاً في الانحراف، وهذا واقع.

﴿ **لَقَد جَاءَكُم رَسُولٌ مِن أَنْفُسِكُم** ﴾ من جنسكم ليس بملك ولا بجني ولو كان كذلك لاستوحشتم منه ، لكن رحمة منه سبحانه وتعالى ولإقامة الحجة عليكم جعله منكم، يتكلم بلغتكم، تعرفون من هو وابن من هو، ومن أي قبيلة ومن أي بلد تعرفون منه كل شيء.

﴿ **عَزِيزٌ عَلِيهِ مَا عَنِتُّم** ﴾ يَعِزُّ عليه ما يوقعكم في العَنَت.

﴿ **حَرِيصٌ عَلَيكُم** ﴾ حريص على هدايتكم وعلى إيمانكم وعلى استقامتكم.

﴿ **بِالمُؤمِنِينَ رَؤوفٌ رَحِيم** ﴾ قَدَّم الجار والمجرور، بالمؤمنين رؤوفٌ رحيم، وأما بالنسبة لغير المؤمنين فالرسول والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم، إنما هو رحمة للمؤمنين، بالمؤمنين رؤوف رحيم، بالمؤمنين فقط دون غيرهم، نأخذه من تقديم المعمول على العامل كما تقدم .

﴿ **بِالمُؤمِنينَ رَؤوفٌ رَحِيم** ﴾ وصف نبيه ﷺ بأنه رؤوفٌ رحيم، الله سبحانه وتعالى رؤوفٌ رحيم وكيف ذلك؟، **وهل المخلوق يوصف بصفات الخالق؟**

﴿**بِالمُؤمِنينَ رَؤوفٌ رَحِيم**﴾ ﴿**بِغلامٍ عَليم**﴾ ﴿**بِغُلَامٍ حَلِيم**﴾، كثيرٌ من الناس يرتبك في مثل هذا، فلتعلموا بأن الاشتراك باللفظ وفي المعنى العام لا يضر، فالأمر لابد منه.

الاشتراك باللفظ: كالرحمة، والرَّأفة، والعِلم، والسمع، والبصر، السمع والبصر من أبرز صفات المخلوقين، وهي من صفات الخالق صفات ذاتية.

لكن هل ضر ذلك؟ وهل أوقع ذلك في التشبيه والتمثيل؟

لا، لأن سمع الله غير سمع المخلوق، أي: حقيقة سمع الله غير حقيقة سمع المخلوق، حقيقة بصر الخالق غير حقيقة بصر المخلوق.

كذلك حقيقة رحمة الله ورأفته وعلمه وملكه وعزه وعظمته كثيراً.

ما يستنكر بعض الناس لماذا يسمى المخلوق ملك؟ الله سبحانه وتعالى هو الذي يؤتي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء، المَلِك المالك، كالعالم والسميع والبصير، هذه الأسماء إطلاقها على المخلوق لا يوقع في التشبه.

بالاختصار: الاشتراك إنما يقع قبل أن تضاف الصفات إلى الموصوفين، قبل أن تضاف صفات الخالق إلى الخالق وصفات المخلوق إلى المخلوق.

وهذا يسميه علماء الكلام: (**المطلق الكلي**)، المطلق الكلي عندهم لا وجود له إلا بالذهن أما في الخارج لا يوجد، كل ما وجد في الخارج يوجد خاصة، بمعنى هل تتصور علماً قائماً هكذا ليس علم زيد، ليس علم خالق ولا علم مخلوق، علمٌ قائم بنفسه وحده لا وجود له، هذا يسمى (المطلق الكلي) الذي لا وجود له في الخارج إلا أن الذهن يتصور ذلك العلم.

لكن إذا أضيف علم الله إلى الله، وسمع الله إلى الله، وبصر الله إلى الله، وعلم المخلوق إلى المخلوق، وسمعه إليه وبصره ورحمته، لا اشتراك، لا يدعو للاشتراك لأن الإضافة خصصت.

إذا قلت: عِلم الله؛ عِلم خاصٌ بالله بمواصفاته علم محيطٌ بجميع المعلومات علمٌ لم يسبق بجهل، علمٌ لا يطرأ عليه غفلة أو نسيان، علمٌ قديم قدم الذات، هل علمٌ كهذا يمكن أن يشترك فيه مخلوق؟ لا.

إذاً اختص بالله، إذا قلنا: عِلم زيد؛ علم مكتسب مسبوق بجهل قاصر غير محيط بجميع المعلومات.

فالله منزه أن يشارك المخلوق في مواصفاته وحقائقه وخصائص علم المخلوق.

هذه النقطة لابد أن نقررها في كل مناسبة لعلها ترسخ وهي مهمة، هي سبب انزلاق علماء الكلام لما لم يستطيعوا التفريق، منهم من قال: لا نتصور إلا كما نتصور في

المخلوق إذاً صفات الخالق كصفات المخلوق، ومنهم من قال: لا، إذا أردنا التوحيد ننفي، ننفي الصفات، نثبت ذاتاً مجردة ليست موصوفة بصفات، انزلقوا جميعاً، وهدى الله أتباع محمد ﷺ الذين اقتفوا أثره وسنته وبما جاء به ولم يلتمسوا الحق في غير كتاب الله، ولم يلتمسوا الهدى في غير سنة رسول الله ﷺ، هداهم الله وثبتهم على هذه الجادة، ولله الحمد والمنة.

ثم قال الشيخ – رحمه الله تعالى - :

((ومعنى شهادة أن محمداً رسول الله ﷺ: طاعته فيما أمر)):

- انتبهوا إلى هذه الألفاظ التي جاءت مسجعة بغير قصد، لكنها مهمة، ينبغي أن يحفظ طلاب العلم و صغار الطلبة و كل الناس طلبة - **طاعته فيما أمر** :

((فيما)): مَا هذه **إمَّا** تعتبرها مصدرية ، طاعته في أمره.

أو تعتبرها موصولة، طاعته في كل الذي أمر.

ما الموصولة من صيغ العموم، في كل ما أمر، تساوي في كل ما أمر.

تقدم أن قلنا: له الطاعة المطلقة ﷺ.

((وتصديقه فيما أخبر)):

قل فيما أخبر ما قلته في ما أمر تماماً.

((واجتناب ما نهى عنه و زجر، وأن لا يعبد الله إلا بما شرع)):

هذه الفقرة الأخيرة مهمة جداً، لأن كثيراً من الناس قد يطيع رسول الله ﷺ ولا يكذبه، وقد ينتهي عن كثيرٍ من المنهيات ويتمثل الأمر لكن عند عبادة الله تعالى لا يتقيد بما جاء به النبي ﷺ، من هنا يقع في الابتداع، يعبد الله ويتخبط في عبادته لا يتقيد بالسنة عبادة.

مثال صغير: بعض الناس تجده يركع في أوقات النهي نوافل مطلقة أو يزيد عدة ركعات بعد أذان الفجر، إذا قلت له: يا أخي لا يشرع إلا ركعتي الفجر بعد الأذان وفي مثل هذا الوقت الصلاة منهيٌ عنها، يقول: لا، هذه لله فقط، هذه فقط لله يعني فعلتها لله. طيب، والتي قبلها الفرائض التي صليتها كلها ما هي لله؟! وهذه لله يجعلها تمشي؟!.

هذا جهل، كلها لله وهي العبادة التي لا تقبل إلا على الجادة، لا يفهم هذا ما دام هذه صلاة فيها ركوع وسجود تمشي في أي وقت وكيف جاءت، هذا من الجهل.

((وأنْ لا يعبد الله إلا بما شرع)):

يقول العلامة ابن القيم - رحمه الله - : الإنسان الذي يعبد الله بغير السنة ـ أي غير متقيد بالسنة ـ كالذي يحمل جراباً ملئ رملاً حمله على رأسه فسافر به فإذا وصل إلى حيث شاء وفتح الجراب - الكيس - ماذا يرى ؟! يرى رملاً، ـ لا سكراً ولا أرزاً ولا طعاما - ماذا يفعل؟ تعب في الحمل ولما وصل لم يتمكن من الاستفادة بما في الجراب الذي حمله على رأسه، قبل السيارات، تَعِبَ مجرد تعَب.

كذلك من يكثر من العبادة على جهل دون تقيد بهدي محمَّدٍ ﷺ، إذا وصل يوم يصل، يجد أنه لا شيء عنده، ما عمل شيء، لا يقبل، كيف يقبل ؟! وهل بعث الله محمَّداً ﷺ عبثاً ؟ بعثه إلينا لنتبعه، لنسير إلى الله على طريقته ليقودنا إلى الله، أما إذا تركنا قيادته وفتّحنا لنا الطرق من هنا ومن هنا، تركنا الجادة وسلكنا بنيات الطريق، النهاية الضياع.

لم يعرف مكانة السنة إلا أمثال هؤلاء وأما كثيرٌ من العباد على جهل وخصوصاً الذين تربوا في أحضان المتصوفة لا يعرفون مكانة السنة، يحسبون أن السنة صحيح البخاري وصحيح مسلم يقرئان للتبرك في رمضان، يختم في بعض المساجد صحيح البخاري في شهر رمضان سرداً والشيخ جالس تحت العمود متكئاً على العمود يقول : نعم نعم، ويخرج الطلاب يقرأ هذا، و إذا تعب زيد يقرأ عمرو، هكذا حتى يتم، يختم، قالوا: ختموا صحيح البخاري ويعملون حفل على ختم البخاري تبركاً لم يستفيدوا حكماً واحداً، لا حكما فقهياً ولا عقيدة من ما في هذا الكتاب العظيم

صحيح البخاري، يخرجون صفر اليدين، أمثال هؤلاء لا يعرفون مكانة السنة، هذه هي السُّنَّة عندهم، نسأل الله لنا ولكم السلامة.

((ودليل الصَّلاة، والزَّكاة، وتفسير التوحيد؛ قوله تعالى: ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ ﴾ [البينة: ٥])) .

مائلين من الشرك إلى التوحيد إلى الإخلاص، أمر بهذا الناس كلهم، جميع العباد

﴿ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤتُوا الزَّكاةَ وَذَلكَ دِينُ القَيِّمَة ﴾ [البينة: ٥]، الدين المستقيم، الطريق المستقيم الموصل إلى الله، أن تخلص لله في العبادة وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة، وفي كل ذلك بالإخلاص واتباع السنة.

((ودليل الصيام؛ قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّها الَّذِينَ ءامَنُوا كُتِبَ عَلَيكُم الصِّيَامُ ﴾ [البقرة: ١٨٣])) من أين نأخذ الوجوب؟ لفظة (كُتب) و(عليكم)، كُتب وعليكم هذه جملة تفيد الوجوب ، أن الله أوجب عليكم الصيام ﴿ كَمَا كُتِبَ عَلى الَّذِينَ مِن قَبلِكُم ﴾، أما الذين قبلنا كيفية صيامهم لا نعلم إنما نشترك في الجملة في وجوب الصيام علينا، نعلم صيامنا بالتفصيل، ولكن صيام من قبلنا لا نعلم بالتفصيل.

﴿ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبلِكُم لَعَلَّكُم تَتَّقُون ﴾ أي لكي تتقون، لكي يكون الصيام وقاية بينكم وبين عذاب الله وغضبه، لأن الصيام يكون سبباً للتقوى لأنه يترك لله شهواته طعامه و شرابه لذلك أضاف الله الصيام إلى نفسه: « كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لي» (١) إضافة عظيمة .

((ودليل الحج؛ قوله تعالى: ﴿ وَلِلهِ عَلَى النَّاسِ ﴾)) كذلك نأخذ من لفظة (على) الوجوب، ﴿ وَلِلهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ البَيتِ مَن اسْتَطَاعَ إِلَيهِ سَبِيلاً ﴾ [آل عمران: ٩٧] هذه الآية عند كثير من أهل التفسير نزلت في السنة التاسعة من الهجرة، أي أوجب الله علينا الحج في السنة التاسعة من الهجرة النبوية، فبادر النبي ﷺ بالتطبيق بأن مهد لحجه في العام العاشر بإرسال وفد يخبر مكة ويعلن في مكة أن حج النبي ﷺ في العام المقبل، السنة العاشرة، والتفصيل في محله هناك.

---

(١) أخرجه البخاري: ١٩٠٤، ومسلم: ١١٥١ .

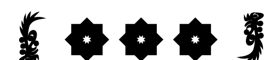
ثم قال: ﴿ وَلِلهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ البَيتِ مَن اسْتَطَاعَ إِلَيهِ سَبيلاً ﴾.

ومعنى الاستطاعة عند الفقهاء: الزاد والراحلة.

وإن كان الحديث فيه مقال ولكن معناه سليم تشهد له نصوص الكتاب والسنة.

﴿ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَن العَالَمِينَ ﴾ قد يستدل بعض الناس بآخر هذه الآية على أن ترك الحج مع الاستطاعة كفر، ولكن الذي عليه الجمهور إن هذا كفرٌ عملي ليس كفراً اعتقادياً، أي من ترك الحج مع الاستطاعة يأثم إثماً كبيراً، وتثبت مصاريف الحج في تركته، فتخرج مصاريف الحج من تركته ولم يصل إلى الشرك الأكبر، لا يصل إلى الشرك الأكبر إلا بالجحود طالما يؤمن بوجوبه.

إذا قصر فيكون كفره كفرٌ دون كفر، وبالله التوفيق.



المتن

📖 قال الإمام المصنف – رحمه الله تعالى -:

المرتبة الثانية: الإيمان، وهو بضع وسبعون شعبة: فأعلاها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياة شعبة من الإيمان.

وأركانه ستة: أنْ تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره.

والدليل على هذه الأركان الستة؛ قوله تعالى: ﴿ لَيسَ البِرَّ أنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُم قِبَلَ المَشرِقِ وَالمَغرِبِ وَلكِنَّ البِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وِاليَومِ الآخرِ والمَلائكةِ والكِتابِ والنَّبِيِّينَ ﴾ [البقرة: ١٧٧].

ودليل القدر؛ قوله تعالى: ﴿ إنَّا كُلَّ شَيءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ [القمر: ٤٩].

الشـرح

قال المؤلف - رحمه الله تعالى -:

((المرتبة الثانية: الإيمان)) الإيمان كما تقدم أضيق من الإسلام، والذي بعده الإحسان أضيق أكثر.

يجب أن نقف عند الإيمان لنعرف اختلاف أهل العلم في حقيقته، ليتبين لنا أننا بحاجة إلى تحقيق الإيمان نفسه الإيمان الذي هو كل شيء عندنا لم يسلم من الاختلاف.

ما هو الإيمان؟

الإيمان عند بعض علماء الكلام:

القول الأول: مجرد **المعرفة**؛ أي معرفة الله تعالى، والكفر عندهم الجهل، هذا ما ذهب إليه الجهم بن صفوان، وعلى هذا لا يوجد كافرٌ إلا من هو جاهل، ولا يوجد أجهل بالله من الجهم بن صفوان، لذلك يقال: إنه حكم على نفسه بالكفر من حيث لا يشعر حيث قال: إن الإيمان هو المعرفة، وإن الكفر هو الجهل، وإذا تتبعنا عقيدته نجده أجهل الناس بالله، إذاً هو كافرٌ بشهادة نفسه على نفسه.

الله سبحانه وتعالى في نظر الجهم بن صفوان والجهمية لا يوصف لا بصفة ولا يُسمى باسم، أي وجود الله عز وجل عندهم وجود ذهني ليس له وجود خارجي، **الوجود المطلق**، لأن الموجود في الخارج لابد أن يوصف بصفة، الذي لا يوصف بصفة هو العدم، الموجود لابد له من صفة، فإذا نفوا عنه جميع الصفات وجميع الأسماء شبهوه بالمعدوم الذي لا يوصف بأي صفة لأنه معدوم، وعلى هذا الجهم بن صفوان هو من أكفر الكافرين بشهادة نفسه على نفسه، إذ الإيمان عنده المعرفة والكفر الجهل.

- **القول الثاني: لأهل الكلام في الإيمان، الإيمان: هو التصديق فقط، مجرد التصديق بالقلب** بصحة ما جاء به رسول الله ﷺ ولو لم ينطق باللسان، لو لم يقر بشهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، طالما ادعى أنه صدق رسول الله ﷺ فيما جاء به فهو مؤمن.

- **القول الثالث: الإيمان: هو التصديق والاقرار معاً**، أن يصدق بقلبه ويُقر بلسانه، هؤلاء جميعاً يقال لهم المرجئة.

مرجئة الفقهاء أصل منبتهم من الكوفة، لأن هذا القول بأن الإيمان هو التصديق أو التصديق والإقرار معاً قول الإمام أبي حنيفة وتبعه في ذلك جميع الكوفيين، ثم انتقل هذا المذهب من الماتريدية إلى الأشاعرة، فصار الإيمان عند جمهور الأشاعرة والماتريدية هو التصديق، وإن توسعوا التصديق والإقرار، الإقرار محل خلاف عندهم، القول الصحيح أن الإيمان عندهم التصديق، وعلى هذا جميع الأعمال الإسلامية التي في الكتاب والسنة ليست من الإيمان في شيء عند هؤلاء، أخرجوا الأعمال كلها من الإيمان، هذا هو معنى الإرجاء.

الإرجاء: معناه التأخير، أخروا الأعمال عن مسمى الإيمان، لم يدخلوا الأعمال كلها في الإيمان، بل الإيمان إما مجرد التصديق أو التصديق والإقرار، هذا الذي عليه جمهور الأشاعرة وما أكثرهم، وهو في الأصل عقيدة الماتريدية التابعين للإمام أبي حنيفة في هذه المسألة.

خالف الإمام أبو حنيفة الجمهور، جمهور أهل السنة والجماعة بما فيهم الأئمة الثلاثة وغيرهم.

ولكن الذي ينبغي أن يفهمه طلاب العلم، الإرجاء الذي هو عقيدة أبي حنيفة ومن تبعه غير إرجاء علماء الكلام، لذلك يسمون هؤلاء مرجئة الفقهاء.

الفرق بين مرجئة أهل الكلام ومرجئة الفقهاء:

مرجئة أهل الكلام يرون أنه لا يضر مع الإيمان ذنبٌ، ويرون أن الناس لا يتفاوتون في الإيمان، وأن إيمان الأنبياء ومن بعدهم واحد، لأن الإيمان لا يزيد ولا ينقص عندهم حقيقة واحدة، هؤلاء مرجئة أهل الكلام.

ولكن **مرجئة الإمام أبي حنيفة** ومن تبعه لا يصلون إلى هذه الدرجة، وإن أخروا الأعمال عن مسمى الإيمان، وعلى كل هذا المذهب خطأ.

الصواب ما عليه الجمهور لا لجمهرتهم وكثرتهم، ولكن لكون الدليل معهم من الكتاب والسُّنَّة، كتاب الله تعالى ينطق ويُدخل ويَعُد **الأعمال من الإيمان**، وكذلك السُّنَّة.

إذا قرأنا قوله تعالى في أول سورة الأنفال: ﴿ **إِنَّمَا المُؤمِنُونَ الَّذينَ إذا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُم وَإذا تُلِيَّتْ عَلِيهِم آياتُهُ زَادَتهُم إيمانَاً وَعَلَى رَبِّهِم يَتَوَكَّلُون ۞ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةُ وَمِمَّا رَزَقنَاهُم يُنفِقُون ۞ أُولَئِكَ هُم المُؤمِنُونَ حَقَّاً** ﴾ [الأنفال: ٢-٤] عدَ الله في هذه الآية أعمال القلوب وأعمال الجوارح من الإيمان ﴿ **إِنَّمَا المُؤمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُم** ﴾ هذا من أعمال القلوب ﴿ **وَإِذَا تُلِيَّتْ عَلَيهِم آيَاتُهُ زَادَتْهُم إِيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِم يَتَوكَّلُون** ﴾ من أعمال القلوب ﴿ **الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَمِمَّا رَزَقنَاهُم يُنفِقُون** ﴾ من أعمال الجوارح، إذاً **أعمال القلوب وأعمال الجوارح داخلة في مُسمَّى الإيمان**، وعلى هذا يكون التصديق تصديقاً خاصاً.

أخذ المرجئة الإيمان اللغوي الذي هو مجرد التصديق وأخطأوا في ذلك، لأن المراد بالتصديق هنا التصديق الشرعي لا التصديق اللغوي، المعنى اللغوي دائماً أعم

وأشمل من المعنى الشرعي والاصطلاحي، في اللغة مجرد التصديق، أي شيء صدقته يسمى إيمان، وفي الشرع تصديق خاص، تصديق ما جاء به النبي ﷺ تصديقاً تصدقه الأعمال، لأن تصديق القلب إن لم يوجد دليلٌ على صحته يعتبر دعوى، ومن ادعى أنه صدق رسول الله ﷺ في كل ما جاء به ثم ترك العمل، لا يعمل شيء من أعمال الإسلام من صلاة، وصيام، وزكاة، وحَجٍّ، وغير ذلك لا يعمل، يقول أنا مؤمن لأني مصدق، نقول له ائتي بالدليل على تصديقك القلبي، ما الذي يصدقك؟ أعمال الجوارح هي التي تصدق ذلك التصديق وتشهد بصحته، ومن ادعى بأنه مصدقٌ بقلبه بكل ما جاء به رسول الله ﷺ، ثم لا يعمل يقال له: هذه دعوى، والدعوى لابد لها من بينة فأين البينة ؟ البينة الأعمال، لذلك **يقول بعضهم:**

وإذا حَلَّت الهداية قلباً نشطت في العبادة الأعضاءُ

فإذا كانت الأعضاء لا تعمل، لا يصلي ولا يصوم، ولا يأمر، ولا ينهى، ولا يجاهد، ولا يطلب العلم، يمشي هكذا مُصدِّق، لا يُقبَل مثل هذا التصديق.

وعلى هذا انتشر بين المسلمين هذا الإيمان الإرجائي، لذلك لو أمرت إنساناً أو نصحته أو نبهته على ما فعل يقول لك: الإيمان في القلب هنا الإيمان، والإيمان الذي هنا لو صَحَّ لظهر أثره في أعضائك وجوارحك، ولست بصادق، تترك الصلاة فيقال لك: صلِّ، فتقول: لا، الإيمان هنا في القلب، ليس بصحيح، وعلى هذا كيف تحاجون وتنازعون الذين يحكمون بغير ما انزل الله؟ تقولون لهم: أنتم حكام غير مسلمين، فيقول لك: أنا مسلم لأني أقول لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وأنا

مصدق، وأنت معي في هذا التعريف، يحاجك لكن متى تستطيع أن تقنعه أنه ليس على الإسلام؟ إذا عرفت الإيمان بالتعريف الصحيح، ما هو الإيمان؟

تعريف الإيمان عند أهل السُّنَّة:

الإيمان: تصديق بالقلب، وعمل بالجوارح، وقول باللسان.

التصديق الذي في القلب يشهد على صِحته النطق باللسان بقولك: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله، يصدق كل ذلك، وتصدق كل ذلك الأعمال، الأعمال الجارية على السنة وعلى وفق ما جاء به رسول الله ﷺ.

إذاً الإيمان مركب، الإيمان يتألف من أجزاء، من تصديق بالقلب وعمل بالجوارح وقول باللسان، على هذا أو لهذا يشهد الكتاب والسنة وقد سمعنا من الكتاب الآية.

اسمع قول رسول الله ﷺ: **« الإيمان بضع وستون شعبة ـ رواية البخاري ـ أعلاها قول لا إله إلا الله »** جعل النطق باللسان من الإيمان، وأعلى درجات الإيمان هذا مما يذكر في فضل لا إله إلا الله، هذه الكلمة ركن في الإيمان، وركن في الإسلام، وأفضل الذكر كلمة عظيمة إذا جئت تعدد الإسلام فهي في الطليعة، وإذا جئت تعدد شعب الإيمان فهي في المقدمة، إذا جئت لتعرف أفضل الذكر بعد القرآن لا إله إلا الله كلمة عظيمة إذا فهم معناها وطبقت، هكذا قال الرسول ﷺ: **« الإيمان بضع وستون شعبة: أعلاها قول لا إله إلا اللّٰه، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان »**(١).

---

(١) أخرجه البخاري: ٩ ، ومسلم: ٣٥ .

وهنا يرد سؤال:

قال الرسول ﷺ: (أعلاها لا إله إلا الله)، ولم يقل: (محمدٌ رسول الله) !، **وهل يكفي أن تقول أشهد أن لا إله إلا الله؛ وكفى؟**

لا، ولو لم يذكر الجزء الثاني، كأنه مذكور، **لأن لا إله إلا الله محمد رسول الله كالجسم والروح لا يفترقان.**

لا ينفع قول لا إله إلا الله بدون محمدٌ رسول الله، أي الشهادة بالوحدانية لا تجدي ولا تنفع حتى تشهد بالرسالة، ولو شهدت بالرسالة ما نفعت الشهادة حتى تشهد قبل ذلك بالوحدانية.

هما شيئان في الظاهر، ولكنهما شيء واحدٌ في الحقيقة، إذ بينهما تلازم لا يفترقان، لذلك إذا جاء في بعض الأحاديث ذكر لا إله إلا الله ولم يذكر شهادة أن محمد رسول الله كما في مثل هذا الحديث فليعلم أن ذلك اكتفاء بالمعلوم، لأنه من المعلوم أن لا إله إلا الله وحدها لا تغني إلا بإضافة محمد رسول الله، **وهي تسمى بجملتها: كلمة التوحيد، وكلمة الإسلام، وكلمة الإيمان، ومفتاح الجنة.**

ثم قال: **((وأدناها إماطة الأذى عن الطريق))** إماطة الأذى عن الطريق عملٌ من أعمال الجوارح، جعل النبي ﷺ ذلك من الإيمان، من تمام إيمانك أن تحب لأخيك المسلم ما تحبه لنفسك، وأن تكره له ما تكره لنفسك، إذا رأيت قشرة في الأرض في وسط الطريق فأخذتك الشفقة قلت: ربما ينزلق إنسان فتنكسر رجله، رَحِمتَ المارين ولنفعهم و دفع الضر عنهم أزلته، هذا التصرف جزء أو شعبة من شعب الإيمان.

﴿ أعلاها لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان ﴾ وبين أعلاها وأدناها شعب تتفاوت، الصلاة شعبة من الإيمان، الجهاد شعبة من الإيمان، الزكاة شعبة من الإيمان، وطلب العلم شعبة من الإيمان، وأنت ماشي، تعدد ما تعدد كلها من شعب الإيمان.

إذاً الإيمان يتألف من شعب كثيرة، وليس مجرد التصديق، وليس مجرد الإقرار، لذلك فلنسمع هذا التعريف الشارح الذي شرح الإيمان من كلام العلامة ابن القيم في (الفوائد) قال: « **الإيمان حقيقةٌ مركبةٌ من معرفة ما جاء به الرسول ﷺ، علماً وتصديقاً عقداً والإقرار به نطقاً، والانقياد له محبة وخضوعاً، والعمل به ظاهراً وباطناً، وتمثيله والدعوة إليه بحسب الإمكان، وكماله في الحب في الله وفي البغض في الله، والعطاء لله والمنع لله، وأن يكون الله وحده إلهه ومعبوده، والطريق إليه تجريد المتابعة للرسول ﷺ ظاهراً وباطناً، وتغميض عين القلب عن الالتفات إلى سوى الله ورسوله** » لا يعبد غير الله، ولا يرجو غير الله، ولا يعبد الله إلا بما جاء به محمد رسول الله ﷺ، هذا هو الإيمان على هذا التركيب، الإيمان مركب.

ومما ينتقد على علماء الكلام، أهل السنة يقولون: كيف يكون الإيمان مركباً؟ لأن المركب إذا أزيل بعض أجزائه زال كله، هذا غير صحيح، ما الذي يُرد على هذا؟

لا يكفي أن نقول هذا غير صحيح، نَرُد عليه بالحديث السابق الذكر « **الإيمان بضع وسبعون -أو بضع وستون شعبة-** » لأن النبي ﷺ جعل الشُعب متفاوتة:

الشعبة الأولى هي التي يزول الإيمان بزوالها، إذا زالت الشعبة الأولى شعبة لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، زال الإيمان كله لا يبقى شيء.

وهل إذا ترك الشعبة الأخيرة، مَرَّ الإنسان في الطريق على الأذى فلم يُزله، هل يزول إيمانه؟ **لا**، ينقص.

الشُعب الأخرى غير الشعبة الأولى، بزوالها ينقص الإيمان بقدر ما يترك الإنسان شعبة من الشُّعب، وبقدر ما يرتكب من المحرمات والمعاصي ينقص إيمانه لا يزول، وإنما يزول بزوال كلمة التوحيد والكفر بها والإتيان بما يناقضها، ليس معنى زوالها أنك تقول أنا لا أعترف أنه لا إله إلا الله، لا.

قد تقول بلسانك لا إله إلا الله وتأتي بما يناقضها، لأن للإسلام نواقض كنواقض الوضوء، يتوضأ الإنسان وضوء جديداً ويدخل الآن من الميضأة، دخل إلى المسجد وخرج منه الريح، هل ينفعه هذا الوضوء الجديد؟ لا.

كذلك لو قال: مائة مرة يعد هذه السبحة لا إله إلا الله ثم إذا اشتدت به الأمور قال: أغثني يا فلان، ما لي سواك يا فلان، انتقض توحيده تماماً لا يبقى عنده شيء، كافر. نفى الله الذي كان يقره بلسانه، هنا يزول الإيمان، لكن لو ترك شعبة من الشعب كأن قلَّ حياءه فارتكب معصية، ينقص إيمانه، لا يزول كلياً، فليفهم هذا جيداً.

ثم طالما تعرضنا لهذه المسألة، وهي مسألة كبيرة، قد يستدل عليك من يرى بأن الأعمال ليست من الإيمان يستدل بالعطف الذي جاء في القرآن: ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ [العصر: ٣]، ﴿ وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ ﴾: العطف يقتضي المغايرة، إذاً الأعمال الصالحة غير الإيمان، لأن الله عطف الأعمال الصالحة على الإيمان، الأعمال الصالحة هي الإسلام، فالعطف يقتضي المغايرة، كأن تقول، جاء زيدٌ وعمروٌ، بينهما مغايرة، أو جاء زيدٌ وذهب عمروٌ، بينهما مغايرة، بين جاء وبين ذهب، وبين زيدٌ وبين عمروٌ، فصح العطف هنا فاقتضى المغايرة.

فإذا قال: ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ يدل على أن الأعمال الصالحة غير الإيمان؟ تقول: المغايرة درجات، صحيح العطف يدل على المغايرة ولكن المغايرة درجات ﴿ حَافِظُوا على الصَّلَوَاتِ والصَّلاةِ الوُسطَى ﴾ [البقرة: ٢٣٨] ، أليست الصلاة الوسطى من الصلوات؟ كيف صح العطف؟ ما معنى المغايرة؟ من باب عطف الخاص على العام، كذلك العطف من باب عطف الخاص على العام، لأن الأعمال الصالحة جزء من الإيمان كما أن الصلاة الوسطى جزء من الصلوات التي أمرنا بالمحافظة عليها، والأمثلة كثيرة في القرآن. إنما نشير هنا إشارة يتحملها الشباب ولا نتوسع أكثر من هذا.

قال الشيخ - رحمه الله تعالى -:

❁ أركان الإيمان:

((أركان هذا الإيمان ستة: أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره)).

- **((أنْ تؤمن وتصدق وتسلم لله))** تؤمن لله بوجوده، بربوبيته وألوهيته بأسمائه وصفاته.
- **((وتؤمن بالملائكة))** أنهم موجودون، جندٌ من جنود الله سبحانه وتعالى، من سمعت وعلمت أسماءهم آمنت منهم بالتفصيل، ومن لا فبالجملة.
- **((وكتبه))** الكتب المنزلة بما في ذلك القرآن، وتؤمن بأن الكتب المنزلة كلها من كلام الله وليست مخلوقة، كما يقول علماء الكلام بما فيهم الأشاعرة.

القرآن والتوراة والإنجيل والزبور هذه الكتب من كلام الله، لأن كلام الله لا نفاد له: **﴿ قُلْ لَو كَانَ البَحرُ مِدَاداً لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ البَحرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَو جِئنَا بِمِثْلِهِ مَدَداً ﴾** [الكهف: ١٠٩] ، كلام الله لانهاية له، الله خاطب نوحاً، وكَلَّم موسى، وَكَلَّم محمداً ﷺ في أماكن وفي أزمنة مختلفة، ويتكلم آخر كل ليلة، يقول عندما ينزل إلى السماء الدنيا: **« من يستغفرني فأغفر له »**(١) ، هذا كلام الله، ويتكلم الرب سبحانه وتعالى يوم القيامة عندما يأتي لفصل القضاء، ويسلم على أهل الجنة، ويخاطبهم من فوقهم، كل ذلك من كلام الله، وكلام الله لا نفاد له.

لذلك اعتقاد أن كلام الله معنىً واحداً قائم بذات الله، ليس بحرف ولا صوت كما تقول الأشاعرة، ضلال مبين، لأن في ذلك إنكار أن هذا القرآن كلام الله، وقد وافقت الأشاعرة المعتزلة في القول بأن القرآن كلام الله، تناقضوا في ذلك، مع دعوى أنهم خصوم للمعتزلة بالنسبة للكتب السماوية.

---

(١) أخرجه البخاري: ١١٤٥، ومسلم: ٧٥٨ .

نؤمن بأنها من عند الله تعالى، وأما هذا القرآن نؤمن بأنه من عند الله ونتخذه دستوراً نحكم به، ونتحاكم إليه، ونسير إلى الله في ضوئه، هو الحكم، وهو كتاب العقيدة، كتاب التوحيد، كتاب العبادة، كتاب الأحكام، كتاب الأخلاق، كتاب السياسة، كتاب الاقتصاد، كتاب كل شيء، إذا فهم وعمل به.

هذا الفرق بين الكتب السماوية وبين إيماننا بالقرآن:

الكتب السماوية لا يجب علينا العمل بها لأنها نسخت وانتهت بنزول القرآن، الكتاب الذي يجب الإيمان به والعمل به هو هذا **القرآن العظيم** وهو كلام الله حقيقة، **لأن الله** سماه كلاماً: ﴿ **وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ** ﴾ [التوبة: ٦]، ذلك الكلام الذي تلاه النبي ﷺ على المشركين فسمعوه هو هذا القرآن الذي بين دفتي المصحف، تقول عائشة رضي الله عنها: ((**ما بين دفتي المصحف كلام الله**))(١)، ولكن الأثر لم يسلم من تأويل الأشاعرة، قالوا: أي خلقٌ من خلق الله، مخلوق لله، الأشاعرة الذي يقولون نحن من أهل السنة والجماعة .

– يقال في **((الإيمان بالرسل))** ما قيل في الإيمان بالكتب، بالنسبة للرسل الذين قبل نبينا محمد ﷺ، المراد بالإيمان بهم: أن تصدقهم أنهم رسل الله معصومون، بلغوا رسالة الله، ولكن الرسول الذي يجب اتباعه ولا يعبد الله إلا بما جاء به هو محمدٌ رسول الله ﷺ، لأنه جاء بالرسالة الخاتمة العامة، لا يسع جنياً ولا إنسياً، لا يهودياً ولا نصرانياً إلا الإيمان بهذا النبي الكريم بعد أن بُعث، لأنه خاتم النبيين ﷺ،

– **((والإيمان باليوم الآخر))** اليوم الآخر يبدأ من عند الموت ((**من مات فقد قامت قيامته**))(٢)، من حين أن ينقل هذا الإنسان من على وجه هذه الأرض إلى باطنها فهو في اليوم الآخر، يعني الحياة البرزخية الفاصلة بين هذه الحياة التي نحن فيها الآن وبين الحياة التي بعد البعث، تابعة للآخرة، ليوم الآخرة، يجب الإيمان باليوم الآخر، وما يجري في القبر من العذاب، وما يجري على المؤمنين من النعيم.

لأنَّ « **القَبر إمَّا حُفرة مِن حُفَر النَّار، أو رَوضَة مِن رِيَاضِ الجَنَّة** »(٣)، يجب الإيمان بكل ذلك تصديقاً للرسول ﷺ.

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٢/٢٤٠-٢٤٢)

(٢) تخريج الإحياء للحافظ العراقي: (٧٩/٤)، والمقاصد الحسنة: ص٧٥، وضعَّفه الألباني في السلسلة الضعيفة: ١١٦٦ .

(٣) أخرجه الترمذي: ٢٤٦٠ ، ووضعفه الألباني في ضعيف الجامع: ١٢٣١.

- **((الإيمان بالقدر خيره وشره))** بمعنى أنه ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن.

ما أصابك في علم الله لا يخطئك، وما أخطأك في علم الله لا يصيبك، إيمانك وتصديقك بهذا المعنى، بأن ما أصابك لن يخطئك وما أخطأك لن يصيبك، وما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن.

هذا المقدار يكفي بالنسبة للإيمان في باب القضاء و القدر دون الخوض، لأن هذا الباب بابٌ خطير، والبحث عن أسرار القضاء والقدر يعتبر سِراً من أسرار الله، لذلك يقول علي بن أبي طالب - ﷺ -: ((**القَدَرُ سِرُّ اللهِ فَلَا نَكشِفُه**))، أي ليس لك أن تسأل؛ لِمَ فعل الرب سبحانه وتعالى هكذا؟ لم خلق؟ لم أحيا؟ ولم أمات؟ ولم جاعلٌ زيداً غنياً وعمراً فقيراً؟ ولم أمرض فلاناً؟ ولم ولم؟

هذا خوض في سر من أسرار الله، سرٌ لا يدرك، لا يسأل عما يفعل، كما أنه لا يجوز في باب الأسماء والصفات أن تسأل بكيف، كيف هو؟ كيف سمعه؟ كيف بصره؟ كيف استواؤه؟ كيف مجيئه؟ لا يجوز في باب القضاء والقدر، لا يجوز السؤال بلِمَ، لم فعل؟ لِمَ لِمَ ... الخ، انتبه لهذا لأن هذا مَزَلة للأقدام.

يكفي للعامة والخاصة أن يؤمنوا بأنه لا يقع في ملكه إلا ما شاء، وأن الله على علم كل شيء فكتبه، كل المقادير معلومة ومكتوبة، ثم قضى الله سبحانه وتعالى قضاءه على ما علم وكتب، ونحن نجري تحت القضاء والقدر.

في هذا المعنى يقول الإمام الشافعي - رحمه الله - وهو يترنَّم كما يقال: في جنح الليل بهذه الأبيات أنه يناجي الله - سبحانه و تعالى -؛ يقول :

ما شِئْتَ كانَ، وإنْ لَمْ أَشَأْ ... ومَا شِئْتُ إنْ لَم تَشَأ لم يَكُن

خَلَقْتَ العِبادَ عَلى مَا عَلِمْتَ ... فَفِي العِلمِ يَجرِي الفَتَى وَالمُسِنْ

على ذَا مَنَنْتَ، وهذا خذلت ... وَهَذا أَعَنْتَ وَذَا لَم تُعِن

وَهَذا شَقِيٌّ، وَهَذا سَعِيدٌ ... وَهَذا قَبِيحٌ وَهذا حَسَن

هكذا كان يترنَّم الإمام الشافعي بهذه الأبيات، يُذكِّر نفسه بالقضاء والقدر، وأنَّ كلَّ شيء مفروغ منه.

يأتي هنا **سؤال**؛ **سؤال الجبريين**: **هل معنى ذلك أن العبد مجبور**؟

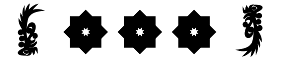
لا، خَلَق العِبادَ وخَلَقَ لهم القدرة، وخَلَق لهم الإرادة، وخَلَق له الاختيار، وأرسل إليهم رسولاً، وهداهم النجدين، وَبَين لهم طريق الهدى وطريق الضلال، وأمرهم بالفعل، يفعل العبد كل ما يفعل بقدرته وإرادته واختياره ولا يدري ما الذي يجري في قضاء الله وقدره، ليس هذا شغله ولا له أن يبحث في هذا، عليه أن يتقيد بالأوامر والنواهي، أمرك بإقامة الصلاة، عليك أن تقيم الصلاة، لكن **قول الذين يقولون بأن العبد مجبور** ليس له قدرة أو قدرته لا تعمل ولا له إرادة **تسمى**: **العقيدة الجبرية**، ضلال في ضلال، وهي منتشرة الآن، لأن **الأشعرية مرجئة وجبرية وجهمية**، اجتمعت فيها جميع هذه الأمراض، وهم منتشرون بين المسلمين، وكثيرٌ من شبابنا لا يدرون عنهم، يصدق على شبابنا قول عمر - رضي الله عنه -: ((**إنما تُنقض عُرَى الإسلام عُروة عُروة؛ إذا نشأ في الإسلام مَن لم يعرف الجاهلية**))[1] لأن الجاهلية بدأت في هذه الأيام تضحك على شبابنا، جاهلية التصوف، جاهلية علم الكلام، جاهلية القانون، جميع هذه الجاهليات تعمل، وشبابنا نشأوا في الخير، نشأوا في الإسلام على الفطرة في التوحيد، لا يعلمون من هذه الجاهليات، يأتي صاحب الجاهلية فيضحك عليهم، يقول: نعمل كذا وكذا من الأعمال الإسلامية فيُصدِّقون، فيخرجهم عن الجادة إلى بنيات الطريق فيقفون حيارى.

لا علاج إلا العلم، والعلم وحده هو العلاج، لذلك عليكم بالعلم، كما وفقكم الله فوفقتم في مثل هذه الأيام الحارة على صبركم على دراسة العلم في هذا المسجد الكريم، وزملائكم في المناطق الباردة عليكم أن تلازموا وتصيروا على هذا الوضع.

---

(١) مجموع الفتاوى: (٣٠١/١٠) ، منهاج السُّنَّة: (٣٩٨/٢).

لا ينال الإنسان درجة الإيمان إلا بالصبر واليقين، الصبر على طاعة الله وطلب العلم الشرعي من أعظم طاعة الله وعبادته، اصبروا على العلم لكي تخرجوا من الجهل، لا تضحك عليكم جاهلية الإرجاء، وجاهلية الجبرية، وجاهلية الجهمية، وجاهلية التصوف، وغير ذلك من الجاهليات التي دخلت مع هذا الانفتاح العام، عندما انفتحنا على العالم، واتَّصل العالم كله بعضه على بعض؛ تداخل الخير والشر، لا يستطيع أن يُفرق بين الخير والشر إلا من رزقه الله البصيرة في دينه.



المتن

📖 قال الإمام المصنف - رحمه الله تعالى -:

المرتبة الثالثة: الإحسان، ركن واحد، وهو: ((أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك)).

والدليل قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَالَّذِينَ هُمْ مُحسِنُونَ ﴾ [النحل : ١٢٨]، وقوله تعالى : ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى العَزِيزِ الرَّحِيمِ ۞ الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُوم ۞ وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ ۞ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ العَلِيم ﴾ [الشعراء : ٢١٧ - ٢٢٠] ، وقوله تعالى : ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأنٍ وَمَا تَتلوا مِنْهُ مِن قُرآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِن عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيكُم شُهُوداً إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ﴾ [يونس : ٦١] .

والدليل من السُّنَّة: حديث جبريل المشهور، عن عمرَ ﷺ قال : بينما نحن جلوس عند النبي ﷺ، إذْ طلع علينا رجل، شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يُرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه مِنَّا أحد، حتى جلس إلى النبي ﷺ، فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه، وقال: يا محمد!

أخبرني عن الإسلام؟

فقال رسول الله ﷺ : ((الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وتُقيمَ الصلاة، وتُؤتيَ الزكاة، وتصومَ رمضان، وتحجَ البيت إن استطعت إليه سبيلا))، قال : صدقت - فعجبنا له، يسأله ويصدقه -.

قال: فأخبرني عن الإيمان؟

قال: ((أن تُؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره)).

قال: فأخبرني عن الإحسان؟

قال: « الإحسان أن تعبدَ الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراكَ » .

قال: فأخبرني عن الساعة؟

قال: « ما المسؤول عنها بأعلم من السائل ».

قال: فأخبرني عن أماراتها؟

قال: « أن تلدَ الأَمَةَ رَبتَها، وأن ترى الحفاة العراة العالة رِعَاءَ الشَّاءِ يتطاولون في البنيان »، قال: فمضى، فلبثنا ملياً، فقال: « يا عمر أتدري من السائل ؟ »، قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: « هذا جبريل أتاكم يعلمكم أمر دينكم »[١].

الشرح

قال المؤلف - رحمه الله تعالى -:

المرتبة الثالثة من مراتب الدين الإسلامي: بعد أن ذكر المرتبة الأولى، والمرتبة الثانية.

((المرتبة الثالثة: الإحسان، وهو ركن واحد، وحقيقة الإحسان: ﴿ أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك ﴾)) .

هذا المعنى الذي يعبر عنه بالمراقبة، المراقبة الخاصة الصادقة، بأن يراقب العبد ربه سبحانه وتعالى، ويتذكر دائماً وأبداً بأن الله يراه، ويرى مكانه، ويسمع كلامه، ويعلم ما في نفسه، هذه المراقبة تحول بين المرء وبين ارتكاب المعاصي، وبين الغفلة والالتفات عن الله إلى غير الله، تَشُدُّه إلى الله.

(١) أخرجه مسلم: ٨ .

المراقبة الصادقة تشد العبد إلى الله سبحانه وتعالى، إيماناً منه بأن الله لا تخفى عليه خافية، وإن كان هو لا يراه لأن الله سبحانه وتعالى لا يُرى في هذه الدنيا، الله سبحانه وتعالى فوق جميع المخلوقات، فوق السماوات السبع، ومستوٍ على عرشه، بائنٌ من خلقه، احتجب من هذه الدنيا بالنور، حجابه النور، لم يرهُ موسى الذي طلب منه الرؤيا، ولم يرهُ على أصح القولين أو على الصحيح رسولنا محمد ﷺ ليلة الإسراء والمعراج، وإنما رأى نوراً، لأنه ﷺ فور وصوله و نزوله في مكة سئل: هل رأيت ربك ؟ قال: « نورٌ، أنى أراه »(١)، حجابه النور، هذا الرأي أو هذا الوجه هو الصحيح، وإن كان الصحابة اختلفوا، منهم من يثبت الرؤية في تلك الليلة، ولكن **جمع بعض أهل العلم بين أراء الصحابة، بأنَّ الذين يَرَون أو يعتقدون بأنَّ النَّبيَّ ﷺ رأى رَبَّه في تلك الليلة إنَّما هي رؤية قلبية، وهي ليست رؤية عيان، أما بعيني رأسه لم يره لأن الله احتجب في هذه الدنيا بنور، وقِوَى البشر لا تقوى في هذه الدنيا لأن تَثْبُت أمام التَّجَلِّي**، وأوضح دليل على هذا قوله ﷺ في آخر قصة الدجال: «فاعلموا أَنَّكُم لَنْ تَروا رَبَّكُم حتَّى تَمُوتُوا »(٢) ، وهذا دليل واضح بأن الله سبحانه وتعالى لا يُرى في الدنيا ولكن الله يعطي عباده قوة ليَثْبُتوا أمام التجلي يوم القيامة في الجنة، ويتجلى لهم ويرونه بغير إحاطة، كما أنهم يعلمونه الآن بدون إحاطة به بعلمهم، كذلك سوف يرونه دون إحاطة به برؤيته، لأن المخلوق لا يحيط بالخالق، فالخالق هو المحيط بجميع المخلوقات هو الذي يعلم منهم كل شيء، هذا هو الإحسان .

❁ ((والدليل قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَالَّذِينَ هُمْ مُحسِنُون ﴾))

[النحل: ١٢٨].

هذه تسمى: المعية الخاصة، أي أن الله تعالى مع الذين اتَّقوه، أي جعلوا بينهم وبين غضبه وسخطه وقاية.

---

(١) أخرجه مسلم: ١٧٨.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده: ٢٢٧٦٤، وصَحَّحه الألباني في صحيح الجامع: ٢٤٥٩ .

هذه الوقاية بامتثال المأمورات واجتناب المنهيات، وذلك من صدق المراقبة ﴿وَالَّذِينَ هُم مُحسِنونَ﴾ أحسنوا في عبادة الله تعالى بالإخلاص وصدق المراقبة، وأحسنوا إلى عباد الله بما يستطيعون الإحسان فيه.

والإحسان من حيث المعنى أعم، ومن حيث أهله أخص:

لأنَّ الإحسان يشمل أي عمل صالح، سواء كان العمل بينك وبين ربك، أو الإحسان إلى عباده، هذا معنى أنه أعم من حيث المعنى.

ولكن من حيث أهله أخص، أي أن المحسنون الذين يصلون إلى هذه الدرجة هم نخبة من المؤمنين، ليس جميع المؤمنين، أي ليس جميع المؤمنين يصلون إلى درجة الإحسان، ولكن نخبة مختارة وفقهم الله وسدد أمرهم هم الذين يصلون إلى هذه الدرجة ويحظون بالمعية الخاصة.

المعية الخاصة تزداد على المعية العامة: بالنصر، والتأييد، والحفظ، والكلأ.

المعية العامة بمعنى: العلم، والرؤيا، والتدبير العام.

هذه هي المعية العامة، بهذا المعنى الله سبحانه وتعالى مع جميع مخلوقاته، لا يخلو مكان من علمه، وهو فوق عرشه، مستوٍ على عرشه، بائن من خلقه، لكن لا يخلو مكان من علمه، هذه هي المعية العامة.

فإذا قيل: الله معنا، لا ينبغي أن يتبادر إلى ذهنك بأن الله معنا بذاته هنا في الأرض، فالله سبحانه وتعالى مُنَزه عن المعية الذاتية مع خلقه، لا مع أهل أرضه، ولا أهل السماوات، أي ليس الله بالأرض بذاته ولا في السماوات السبع بذاته ولكن بذاته فوق جميع مخلوقاته، ليس في ذاته شيء من مخلوقاته، ولا في مخلوقاته شيء من ذاته، ولكن هو بعلمه مع كل مخلوق، أي لا تخفَ عليه خافية من أمرهم وهذه تسمى المعية العامة.

تزداد المعية الخاصة مع المحسنين، مع المتقين، كتلك المعية التي حَظِيَ بها رسول الله ﷺ وصاحبه في الغار: ﴿ لَا تَحزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا ﴾ [التوبة: ٤٠] معية خاصة، حفظهما الله ورعاهم وسترهما من أعين أعدائهم، تلك هي المعية الخاصة، فَلْتُفهَم، وهذه هي منها معية مع المحسنين.

﴿ وَتَوَكَّل عَلَى العَزِيزِ الرَّحِيمِ ۞ الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ ۞ وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٧-٢١٩]، يراك، أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك، هذا هو محل الشاهد من الآية .

﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيكُمْ شُهُوداً إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ﴾ [يونس: ٦١] ، أي نحن معكم، فالله سبحانه وتعالى يُعبر عن نفسه أحياناً بضمير العظمة، وأحياناً بضمير الإفراد.

ضمير العظمة لا يدل على التعدد، يدل على العظمة (إِنَّا)، (إِنَّا نحن) مثل هذه الضمائر يقال لها: ضمير العظمة لا الكثرة.

كذلك (كُنَّا): الله سبحانه وتعالى يعبر عن نفسه ب(كُنَّا)، كما يعبر عن نفسه ب(إِنَّا)، ونحن لا ينبغي أنْ يتبادر إلى الذهن الكثرة والتعدد، لأن هذا أسلوب عربي. المخلوق نفسه يعبر عن نفسه أحياناً بهذا المعنى، نحن فعلنا كذا، نحن بنينا أو نحن مشينا وهكذا، أنت شخص واحد، وهذا أسلوب عربي معلوم.

۞ **والدليل من السنة حديث جبريل المشهور، عن عمرَ بنَ الخطاب ﷺ قال: بَينَا** - وفي رواية [بينما]، لغتان صحيحتان – [بينما] **نحن جلوسٌ عند رسول الله ﷺ، إذ طلع علينا** - حين طلع علينا، إذ بمعنى حين -، حين طلع علينا **رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر**، وفي بعض الألفاظ شديد سواد اللحية، جاء جبرائيل ملتحي بصفة رجل من البشر، **لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد.** من أين عرف عمر ﷺ حتى يقول لا يعرفه منا أحد؟! أي تساءلوا فيما بينهم: تعرفون هذا الرجل الغريب، شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يُرى عليه أثر السفر؟ مع

العلم أنه جاء يمشي على قدميه مع ذلك نظيف، رجلاه، ثيابه، وشعره، كأنه طلع من الأرض الآن من عندهم، هو جاء من أين؟ ما كان جالساً معهم عند النبي ﷺ، المفروض مثل هذا الرجل الغريب الذي لا يُعرَف، أن يُرى عليه أثر السفر، لم يحدث شيء من ذلك، **فجلس إلى النبي ﷺ، فأسند ركبتيه إلى ركبتيه،** وفي بعض الألفاظ: وتخطى الرقاب إلى أنْ وصل إلى النبي ﷺ. قال بعض أهل العلم : إنما فعل كل ذلك للتعمية على الناس، كأنه يريد أن يُري الناس بأنه إنسان جاهل غشيم، **جاء فجلس إلى النبي ﷺ، فأسند ركبتيه إلى ركبتي النبي ﷺ،** هذا مما لفت أنظار الصحابة، فالصحابة مع شدة محبتهم لرسول الله ﷺ يهابونه، من الهيبة لا يسندون ركبهم إلى ركبتيه، يجلسون بعيدين عنه نوعاً ما، ولكن جلسَ هذه الجلسة ووضع كفيه عل فخذيه، على فخذي من ؟ فخذي نفسه، هذا ما فهمه كثيراً من الشُّراح، ولكن جاء في بعض الروايات ما يشير إلى أنه وضع كفيه على فخذي رسول الله ﷺ، كل ذلك تلطفاً برسول الله ﷺ، لأنه في واقع الأمر هو المُعلِّم، وإنْ جلس جلسة المتعلم، ولكنه في واقع الأمر هو المُعلِّم، لذلك وضع يديه على فخذي رسول الله ﷺ، **وقال : يا مُحمَّد، أخبرني عن الإسلام ؟**

فقال النبي ﷺ: ((أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وتقيمَ الصلاة - الشباب الذين قرأوا، قرأوا بالمعنى، رواية الحديث بالمعنى جائزة، ولكن المطلوب عند الحفظ أن تحفظ النصوص باللفظ لا بالمعنى، وإن كانت الرواية بالمعنى جائزة - **وتؤتيَ الزكاة، وتصومَ رمضان، وتحجَ البيت** - هكذا بالنص الأفعال كلها - **إن استطعت إليه سبيلاً، قال: صدقت))،** عجباً! تُسأل فتُصدق، يقول الصحابي: **عجبنا له يسأله ويصدقه،** كان المفروض الذي يسأل إذا أجاب الأستاذ يقول له: جزاك الله خيراً، أحسن الله إليك، فإذا هو يصدقه، ويقول له: صدقت! عجب الصحابة من هذا التصرف.

قال: أخبرني عن الإيمان؟ قال: ((**أنْ تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره**))، لا نعيد شرح المفردات، لأننا شرحنا في الدرس السابق، ولا حاجة للإعادة، وآخر ما شرحنا القضاء والقدر.

قال: أخبرني عن الإحسان؟ قال: ((**أن َتعبد الله كأنك تراه، فإنْ لم تكن تراه فإنَّه يَرَاك**)) فلتعلم ذلك.

قال: فأخبرني عن الساعة؟ قال: ((**ما المسؤول عنها بأعلم من السائل**)) النبي ﷺ يقول: ما المسؤول الذي هو النبي ﷺ عنها بأعلم من السائل، السائل جبرائيل، عِلم جبرائيل وعِلم النبي ﷺ هنا على حدٍ سواء، لا يعلم النبي ﷺ متى تقوم الساعة، ولا جبرائيل يعلم ذلك.

قال: أخبرني عن أَمَارَاتِها؟

(أَمارة وإِمارة):

الأَمَارَة: بفتح الهمزة، **العلامة**.

والإِمَارَة: الولاية.

والتي عندنا الأَمارة، عن أَماراتها؟ أي عن علاماتها.

وعلامات الساعة كثيرة، وكثيرة جداً ومتفاوتة، ومن أوائل علاماتها: مبعث النبي ﷺ، حيث يقول المصطفى ﷺ: « **بُعِثْتُ أنا والسَّاعة كَهَاتَيْنِ** » - رفع الوسطى والسبابة -(١).

« **بُعِثْتُ أنا والسَّاعة كَهَاتَيْنِ** » فَسَّرَها أهل العلم بتفسيرين :

التفسير الأول: أني سبقت الساعة كما تسبق الوسطى السَّبَّابَة بهذا المقدار، أي مبعثي وقيام الساعة متقارب، إنما سبقت مثل هذا السبق.

---

(١) أخرجه البخاري: ٥٣٠١ ، ومسلم: ٢٩٥٠ .

التفسير الثاني: أن قيام الساعة لاصقٌ بمبعثي وبرسالتي، حيث لا يوجد نبيٌّ بعده لأنه خاتم النبيين.

ولا ينافي المعنى الأول المعنى الثاني كلاهما واحد، والمؤدى واحد، قرب الساعة.

ثم يأتي الحديث، ذكر النبي ﷺ بعض الأمارات، والتي ظهرت الآن تماماً ونحن نعيشها، قال:

((أَنْ تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّتَهَا)) اختلف أهل العلم في تفسير هذه الجملة على سبعة أقوال، لخصها الحافظ في الفتح في أربعة، وارتضى منها معنىً واحداً، الذي يتبادر إلى أذهان الناس والمفسرين كناية عن كثرة الفتوحات الإسلامية حتى يكثر التسري بالجواري، فتلد الجارية ابنا أو بنتاً، فيكون هذا الابن بمثابة السيد لها لأنه ابن سيدها، إذا تسرى بها فأنجب منها ولداً، هذا الولد الذي أنجبه السيد من جاريته حُر، فأصبح كأنه سيدها فأصبح ربها، المراد بالرب هنا السيد، لفظة الرب تستعمل إذا كانت مضافة في غير الله تعالى، ولكن لا تستعمل بدون إضافة إلا في حق الله.
الشاهد، هذا المعنى لم يرتضيه صاحب الفتح، حيث قال: العلامات التي يريد أن يذكرها النبي ﷺ، الأشياء الغريبة التي لا عهد للأولين بها، ووجود التَّسَرِّي بالجواري والإنجاب منهن، شيء معلوم حتى في صدر الإسلام.

إذاً ما هو المعنى الغريب الذي يكون أَمارة وعلامة لقيام الساعة؟

من سوء الأحوال قال صاحب الفتح: معنى ذلك: أن يصاب الأولاد بالعقوق، فَيَستعمِل الولد والدته، فيستخدمها، فيهينها، فيضربها، ويسبها، فيجعلها كالجارية، كالأَمة التي تعمل عنده، وكالخادمة التي تعمل عنده، مِن سوء التصرف يصل الحال بالولد في آخر الوقت من علامات الساعة أن يكثر العقوق، وأن يكون الولد عاقًّاً لوالدته، فيهينها، فيضربها، ويسبها كأنها أَمَة جارية عنده، هذا المعنى الذي ارتضاه صاحب (الفتح)، واستحسنه كثيراً وأعرض عن جميع المعاني التي ذكرها أهل العلم عند هذا الحديث.

فطالب العلم يرجع إلى المجلد الأول من فتح الباري عند هذا الحديث ليطلع على تلك المعاني.

((وأن ترى الحُفَاةَ العُراة العَالَة رعاءَ الشاءِ، يتطاولون في البنيان)) يأتي وقت على الناس وقد أتى أن أهل البادية المعروفين بالفقر وسوء الحال الذين يمشون حفاة وعراة أو شبة عراة وفقراء ليس فيهم شيء من الحضارة وآثار الغنى، يأتي على الناس يومٌ أن أولئك يتركون خيامهم، ويبنون الفلل والقصور في محلات الخيم، فيتفاخرون ويتطاولون بفللهم وقصورهم، هذا هو واقعنا الآن، في الثمانينات لا أقول في السبعينات، تاريخ افتتاح الجامعة الإسلامية، كيف كانت الحارة الشرقية؟ وكيف صار وضعها اليوم؟! أين ذهبت تلك الخيم؟! وما الذي حل محل تلك الخيم؟! القصور والفلل، هكذا ليَصدُق رسول الله ﷺ.

في بعض دول إفريقيا في السبعينات، بعض الدول أخذت الاستقلال من الاستعمار وهم تحت الخيم، لا يملكون قصراً واحداً، أو عمارة واحدة، رئيس الدولة الذي رشح أول رئيس لتلك الدولة أخذ الاستقلال وهو يسكن في خيمة، قصر الحكومة الخيمة، وإذا رجعنا بعد كذا سنة إلى تلك الدولة فإذا القصور وإذا الفلل، والناس تتنافس في بناء القصور والفلل، يقف الواحد فيتذكر هذا الحديث فيقول: صدق رسول الله ﷺ، وهكذا إذا جُلتَ برجلك في العالم لوجدتَ أن هذه العلامة واقعة اليوم، ومشاهدة وفي ازدياد.

قال: فمضى، فلبثنا ملياً - فترة من الزمن - **فقال : يا عمر**، قال النبي ﷺ: يا عمر، **أتدرون من السائل؟** ذلك السائل الغريب بتلك الصورة أو بتلك الصفة من هو؟ **قلنا: الله ورسوله أعلم.**

لفظة (الله ورسوله أعلم): يَتشَدَّد بعض صغار طلبة العلم في استعمالها اليوم، إذا سُئِلتَ عن أمر ديني لا تعرفه كشروط الصلاة، وأركان الحج، وواجبات الحج مثلاً، لك أن تقول: الله ورسوله أعلم، حتى بعد وفاة النبي ﷺ، لا كما يظن بعض الناس أن

القول: (الله ورسوله أعلم) خاصٌّ بحياة النبي ﷺ، لأنك لم تعلم، أو الناس لم يعلموا شيئا من الدِّين إلا بعد أن عَلِمَه النبي ﷺ وعَلَّم الناس، لذلك لك أن تقول: الله ورسوله أعلم، لكن في الشؤون الدنيوية لو سُئِلتَ: ما الذي حدث اليوم في أخبار اليوم؟ وهل نزل المطر في المنطقة الشرقية أو الوسطى؟ أنت لا تعلم، تقول: الله أعلم، ليس لك أن تقول: الله ورسوله أعلم، هذا علم خاص بالله. يجب أنْ نُفرق بين الأمور الدينية وشؤون الدنيا بعد وفاة النبي ﷺ. إنما يقال: الله ورسوله أعلم في الأمور الدينية.

((قال: هذا جبريل أتاكم يعلمكم دِينَكم)) ما أعظم هذا الدين، الدين الذي بعث به خاتم النبيين، ثم يُرسل جبرائيل الذي اصطفاه من الملائكة رسولاً ليُعلمَ أمة محمد ﷺ، ويكرمهم هذا الإكرام، يعلمهم بهذه الطريقة، أتاكم يعلمكم أمر دينكم.



المتن

قال الإمام المصنف – رحمه الله تعالى -:

الأصل الثالث: معرفة نبيكم مُحمَّد ﷺ، وهو مُحمَّد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم، وهاشم من قريش، وقريش من العرب، والعرب من ذرية إسماعيل بن إبراهيم الخليل -عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام-.

وله من العمر: ثلاث وستون سنة، منها أربعون قبل النُّبوَّة، وثلاث وعشرون نبياً ورسولاً، نُبئ ب: ﴿اقْرَأ﴾، وأُرسل ب: ﴿المُدَّثِر﴾.

وبلده مكة، وهاجر إلى المدينة، بعثه الله بالنَّذارة عن الشرك، ويدعو إلى التوحيد؛ والدليل قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِر ۞ قُمْ فَأَنْذِر ۞ وَرَبَّكَ فَكَبِّر ۞ وَثِيَابَكَ فَطَهِّر ۞ وَالرُّجْزَ فَاهْجُر ۞ وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِر ۞ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِر ﴾ [المدثر : ١ - ٧].

ومعنى ﴿قُمْ فَأَنْذِر﴾: يُنذر عن الشرك، ويدعو إلى التوحيد، ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّر﴾.أي عظمه بالتوحيد، ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّر﴾.أي طَهِّر أعمالك عن الشرك، ﴿وَالرُّجزَ فَاهْجُر﴾. الرجز: الأصنام، وهجرها تركها، والبراءة منها ومن أهلها.

أخذ على هذه عشر سنين يدعو إلى التوحيد، وبعد العشر عُرِج به إلى السماء، وفُرِضَت عليه الصلوات الخمس، وصلى في مكة ثلاث سنين، وبعدها أُمِرَ بالهجرة إلى المدينة.

والهجرة: الانتقال مِن بلد الشرك إلى بلد الإسلام، والهجرة فريضة على هذه الأمة مِن بلد الشرك إلى بلد الإسلام.

الشرح

قال المؤلف - رحمه الله تعالى -:

((الأصل الثالث: معرفة نبيكم محمد ﷺ، وهو: محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم)) إلى هنا ذكر المؤلف نسب الرسول ﷺ، وعلى الشباب أن يحفظوا النسب إلى عدنان، ينبغي حفظ النسب الكريم على الأقل إلى عدنان ، وهذا محل اتفاق، وما بعد ذلك محل خلاف.

((وهاشم من قريش، وقريش من العرب ، والعرب من ذرية إسماعيل بن إبراهيم الخليل -عليه من ربه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام-)) أي أنَّ نبينا محمداً ﷺ هو النبي الأمي العربي من حيث النَّسَب، ولكنه عامّ الرسالة إلى الثقلين إلى الجن والإنس.

((وله ﷺ من العمر حين توفي: ثلاث وستون سنة)) كذلك هذا محل إجماع.

((منها أربعون قبل النبوة)) لأنه لم يبعث إلا بعد الأربعين، وهذه سُنة الله في مَن يبعثهم.

((وثلاث وعشرون نبياً ورسولاً)) النبوة قبل الرسالة.

۞ الفرق بين النبي والرسول:

يختلفون في التفريق بين النبي والرسول:

منهم من يُعرف فيقول: **النَّبيُّ**: من كُلِّفَ برسالة أو بُعِثَ برسالة ليعمل بها، ولم يكلف بالتبليغ.

التعريف الثاني: **النَّبيُّ**: من بُعثَ ليَعمل برسالة مَن قبله، وليست له رسالة مستقلة، ككثير من أنبياء بني إسرائيل يعملون بشريعة التوراة والإنجيل وهم كثر.

التعريف الثاني أنسب والتعريف الأول أشهر، ولكن التعريف الأول يُعكر عليه القول بأنه لم يؤمر بالتبليغ، التبليغ والدعوة والإصلاح واجب الرسل وواجب الأنبياء وواجب أتباعهم، أتباعهم مكلفون بالإصلاح، والنصح لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين، وعامتهم، والدعوة إلى الله. إذا كان العلماء وهم ورثة الأنبياء مكلفون هذا التكليف، فالأنبياء من باب أولى، لذلك التعريف الأول على الرغم أنه هو المشهور عند كثير من أهل العلم ولكن التعريف الثاني أنسب من حيث المعنى، لأن النبي أي أنبياء بني إسرائيل الذين لم يكونوا رسلاً مكلفون بالتبليغ والدعوة على ضوء كتاب الله التوراة والإنجيل.

فعلى كلٍّ، رسولنا محمد ﷺ أوَّل ما نُبِئَ أي جاءته النُّبوَّة **((نُبِئَ ب:﴿ اقْرَأ ﴾))**: إذ أرسل الله إليه جبرائيل، ففاجأه جبرائيل بقوله: ﴿اقْرَأ﴾، والنبي ﷺ ليس بقارئ، لذلك كان الجواب: لست بقارئ، وَضَمَهُ حتى خاف على نفسه، وكَرَرَ عليه ذلك، وبالاختصار بعد أن رَوعَهُ وخافَه، جاء إلى خديجة رضي الله عنها، وأخبرها الخبر، فقالت: والله لا يخزيك الله أبداً، لأنك تصل الرحم، وتكسب المعدوم، وغير ذلك، عددت صفات وأخلاق جُبِلَ عليها النبي ﷺ؛ مِن صلة الرحم، والإحسان، والأمانة، وغير ذلك.

ومن جبله الله على مكارم الأخلاق لا يُخزيهِ الله، هذه سُنة الله في خلقه.

بعد أن طمأنته ذهبت به إلى وَرَقَة بن نَوفَل، فَوَرَقَة بَين له إنما جاءه هو الذي كان يأتي الأنبياء من قبله، رسول الله من الملائكة الذي اصطفاه الله ليُرسِلَه إلى الأنبياء من بني آدم، وأنه جبرائيل، وأن ما جاءه مِن عند الله ليس مِن الشيطان، ثم تمنى نَوفَل لو أحياه الله عندما يخرجه قومه، فقال النبي ﷺ: أو مُخْرِجِيَّ هم ؟! يعني سوف يخرجوني؟ قال له: ما أتى أحدٌ بمثل ما أتيت به إلا أُوذيَ، هذه سُنة الله في الأنبياء وفي أتباع الرسل من المصلحين.

لابد من الإيذاء « أشد الناس بلاءً الأنبياء، ثمَّ الأمثل فالأمثل »[1]، الله قادر حين أرسل محمد ﷺ أن يجعل أهل مكة جميعاً، أبي لهب وأبي جهل وغيرهما أن يجعلهم جميعاً كمثل أبي بكر وعمر وعثمان وعلي كلهم يطيعون ويمتثلون، ولكنْ لله حكمة في أن يبتلي نبيه هذا الابتلاء إلى حد الضرب والحصار والإخراج، ثم ينتهي الأمر إلى الهجرة إلى المدينة، كلُّ ذلك ليرفع الله شأنه، ويكثّر ثوابه، لحكم لا نعلمها، لأنَّ الله سبحانه وتعالى لا يفعل فعلاً إلا لحكمة، والعباد قد يدركون أحياناً بعض الحكم في بعض أفعال الله سبحانه وتعالى وقد لا يدركون، إنْ أدركنا الحكمة في فعل الرب سبحانه وتعالى في قضائه وقدره وأفعاله، إنْ أدركنا إما نصاً أو استنتاجا نزداد بذلك إيمانا على إيمان، وإنْ لم ندرك الحكمة علينا الامتثال والتصديق، هذا ما جرى للرسول ﷺ، أُمر بأن ينذر بهذا أرسل فأصبح نبياً رسولاً ﷺ.

ولذلك يقول الشيخ -رحمه الله-:

((نُبِئَ ب: ﴿اقْرَأْ﴾ ، وأُرسل ب: ﴿ الْمُدَّثِرِ ﴾)).

أما **((بلده الذي ولد فيه مكة، وبعثه الله بالنذارة عن الشرك، وليدعو إلى التوحيد :))**

الإنذار: هو الإعلام مع التخويف.

الإعلام إن لم يكن معه تخويف لا يسمى إنذاراً بل هو مجرد إعلام، فرسول الله ﷺ وَصفَه ربُّه بهذه الصفات ﴿ إِنَّا أَرسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّرَاً وَنَذِيراً ۞ وَدَاعِياً إِلَى اللهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُنِيراً ﴾ [الأحزاب: ٤٥] ، وهذه الآية تُبين وظيفة النبي ﷺ وأعماله التي أرسل من أجلها، وبها أَمرَ أتباعه ليكونوا مبشرين ومنذرين، دعاة إلى الله على بصيرة.

(١) أخرجه الترمذي: ٢٣٩٨، وابن ماجه: ٤٠٢٣، وأحمد في مسنده: ١٤٩٤، وصحَّحه الألباني في السلسلة الصحيحة: ١٤٣ .

((ويدعو إلى التوحيد)): يعني يبدأ بالدعوة إلى التوحيد، وليست دعوة نبينا محمد ﷺ ودعوة أتباعه ليست قاصرة على التوحيد، ولكنه بدأ بالتوحيد وركَّزَ على التوحيد لأنه الأساس، والمراد بالتوحيد هنا توحيد العبادة - محل المعركة -، أما توحيد الربوبية فالناس معترفون من قبل، فتوحيد الربوبية يستوي فيه الكافر والمؤمن، لذلك أخبر الله عن المشركين: ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُم مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ والأَرْضَ لَيَقُولُنَّ الله ﴾ [لقمان: ٢٥]، لا يوجد في المشركين من يَدَّعي بأنَّ أحداً شارك الله في خَلْق السماوات والأرض، وفي تدبير الأمر من السماء إلى الأرض، وفي التصرف في هذا الكون، والعجب كل العجب أنْ يحصل في الآونة الأخيرة في المتصوفة من يشرك بالله سبحانه وتعالى في ربوبيته بعد أن كان المشركين يُوحدون الله تعالى في ربوبيته.

في مشايخ الطرق وكثير من الطرق الصوفية اعتقادهم أنَّ الشيخ شيخ الطريقة إذا كان حَيَّاً فهو مشغولٌ بالخدمة، وهذه عبارتهم، المقصود بالخدمة العبادة، فإذا مات تفرغ ليتصرف في هذا الكون لأتباعه، وهو المسؤول عن أرزاقهم، وآجالهم، وتدبير شؤونهم، ناسين رب العالمين سبحانه وتعالى، هذا الكلام الذي نقوله مروي في كتب المتصوفة، كتب ابن عربي مثل: فصوص الحكم، وغير ذلك من الكتب لابن الفارض، وابن سبعين، وابن عجيبة، هؤلاء الأبناء غير البررة، تجد في كتبهم الكفر البواح والكفر الذي لم يرتكبه كفار قريش، لذلك يقول الإمام ابن تيمية: ((**أتت فرقة وحدة الوجود بكفر لم يعرفه كفار قريش**))، لأن في كفار قريش لم يقع ولم يحصل من يقول ليس في الجبة إلا الله!، وهذه مقالة ابن عربي، وعلى طلاب العلم أن يُفرِّقوا بين ابن عربي وابن العربي.

۞ الفرق بين ابن العَرَبِي وابن عَرَبِي:

- ابن العربي: عالمٌ سُنِّيٌّ، إمام من أهل الحديث، مالكي المذهب، هذا معروف ومشهور.

- أما ابن عربي المنكر هذا: هو النكرة المنكرة، هو الذي أنشأ فكرة وحدة الوجود، أي نفى الإثنينية على حدِّ تعبيرهم، نفى الإثنينية في الكون، الكون شيء واحد.

قال ابن عربي:

الرَّبُّ عَبْدٌ والعبدُ رَبُّ   يا ليت شعري من المُكَلَفِ

إنْ قُلتَ عَبدٌ فَذاكَ حَقٌّ   وَإِنْ قُلتَ رَبٌّ فَأَنَّى يُكَلَّف

الشاهد: التوحيد الذي دَعَتْ إليه الرسل، وتعبوا في الدعوة إليه، وقامت الخصومة بينهم وبين أتباعهم هو توحيد العبادة، وإلَّا جميع الكفار في جميع الملل كّلهم يعترفون بربوبية الله تعالى، أيْ يُوحدون الله تعالى بأفعاله ولا يعتقدون بأنَّ أحداً شارك الله في خلقه، وفي رزق العباد، وفي تدبير أمور العباد، لذلك يؤمنون بالله، بربوبيته، ولكن يتخذون آلهة من دون الله تعالى، لا لأنها تخلق أو ترزق، ولكن لتقربهم إلى الله زلفى، وسائط وشفعاء، هذا هو شرك المشركين الأولين، ولكن كما قلنا: زَيَّن الشيطان لكثيرٍ من أتباع المتصوفة فوقعوا في الشركين معاً -شركٌ في توحيد الألوهية، وشرك في توحيد الربوبية-.

۞ دعوة الإمام المُجدد دعوة إصلاحية عامّة:

ويحسب كثيرٌ من الناس الذين لا يعرفون ترجمة وحياة الإمام محمد بن عبد الوهاب أنَّه إنَّما دعا إلى توحيد العبادة، وإنَّما جَدَّدَ الدِّين في توحيد العبادة فقط، وهذا خطأ.

إذا درستَ حياته تجدُ أنَّ أول ما نَفَّذَ مِن الحُكم أنْ رَجَم امرأة اعترفت بفاحشة الزنا أمامه وأَصرَّت على ذلك، أي إنَّ دعوته بدأت بالتوحيد، وفي إقامة الحدود، والإصلاح العام، والحكم بما أنزل الله، وفي إصلاح العقيدة، وفي إصلاح العبادة، أي دعوة عامة، ولكن نظراً لأنَّ الوضع الذي جاء فيه وما يجري في أرض نجد في تلك الأيام هو الشرك في العبادة، لأنَّ القوم كانوا يعبدون النخل، كان النخل عندهم كثير، يعبدون أشجار النخل، ويعبدون الجن، ويعبدون القبور، لذلك ركز على توحيد العبادة.

ولمَّا استقرَّ به المقام، بعثَ وهو بالدِّرعية رسائل كثيرة إلى الأقطار، بَيَّنَ في تلك الرسائل دعوته، بَيَّنَ موقفه مِن الأئمة الأربعة، وَبَيَّنَ موقفه مَن الصحابة، وَبَيَّنَ موقفه مِن السُّنَّة، وَبَيَّنَ موقفه مِن جميع الأحكام، وأوضحَ أنَّ دعوته ليست مجرد القول بأنْ هذا شرك وهذا توحيد كما يُذيع خصومه، ولكنَّها دعوة عامَّة، تجديد عامّ إلى كل ما دعا إليه مُحمَّد ﷺ، وعَلِقَ غبار الجاهلية بتلك الأحكام، بدأَ من العقيدة، والعبادة، إلى الأحكام.

أمَّا تجديده جميع هذه النواحي فليفهم؛ أنَّ هذا التجديد تجديد عامّ، لذلك ينبغي أنْ تقرؤوا ما كُتِبَ أخيراً في ترجمته لشيخنا الشيخ عبد العزيز بن باز ترجمة خاصة، ولبعض الشيوخ المعاصرين، ينبغي أن تطَّلعوا على ذلك وتعرفوا حقيقة هذا التجديد، ولذلك معنى قولنا: يدعو إلى التوحيد؛ كما قلنا إلى توحيد العبادة، لذلك ركَّز هو أيضاً على توحيد العبادة لأن الوضع متشابه، الوضع في نجد متشابه مع الوضع في مكة عند أن بُعِثَ الرسول ﷺ، ثم إنَّ الرجل تجول في كثير من الأمصار فَعرفَ أنَّ الوضع متشابه في العالم كلّه، أنَّ العالم كلَّه بحاجة إلى التجديد العام.

((والدليل قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ۞ قُمْ فَأَنْذِر ۞ وَرَبَّكَ فَكَبِّر ۞ وَثِيَابَكَ فَطَهِّر ۞ وَالرُّجْزَ فَاهْجُر ۞ وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِر ۞ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِر ﴾ [المدَّثر: ٧])).

قال الشيخ -رحمه الله تعالى- في شرح هذه الآية:

﴿ قُمْ فَأَنذِرِ ﴾ يُنذِر، أي أَنذَر عن الشرك بنوعيه الشرك الأكبر والشرك الأصغر، ويدعو إلى التوحيد، لأن الدعوة إلى التوحيد تشتمل على الإيمان والكفر معاً، الإيمان بالله سبحانه وتعالى ربَّاً معبوداً، والكفر بمن سواه من المعبودات، هذا هو معنى الدعوة إلى التوحيد، أي الدعوة إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمَّداً رسول الله.

وقوله تعالى: ﴿ وَرَبَّكَ فَكَبِّر ﴾أي عَظِّمهُ بالتوحيد، ومَن وَحَّدَ الله فقد عَظَّمَهُ، ومَن صَرَفَ شيئاً من أنواع العبادة لغير الله تعالى فقد شبَّه ذلك المعبود بالله.

وفي **تشبيه المخلوق بالخالق** عدم تعظيم الله تعالى، ومن دعا غير الله، واستغاث بغير الله، وذبح لغير الله، جعل ذلك الذي يعبده، أي شبّه ذلك الذي يعبده شَبَّهه بالله، حيث فَخَّمَه سمعاً كسمع الله، وعِلماً كعِلم الله، وقُدرة كَقُدرة الله، هذا من أقبح أنواع التشبيه.

التشبيه الثاني: **تشبيه الخالق بالمخلوق**، والتشبيه الأول تشبيه المخلوق بالخالق، والتشبيه الثاني هو تشبيه الخالق بالمخلوق، هذا الذي ابتلي به علماء الكلام، ولكن هذا النوع وهو المنتشر كما قال العلامة ابن القيم، بل ما كان يعرف سابقاً إلا هذا النوع قبل نشأة علم الكلام، التشبيه المذموم الذي نَدَّدَ به القرآن هو تشبيه المخلوق بالخالق.

﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴾ أي طَهِّر أعمالك عن الشرك، تفسير الثياب بالأعمال ليس بتأويل، بل تفسير لغوي، فيقال إذا أرادوا أن يصفوا إنسان بالنزاهة يقال: فلان ثيابه طاهرة، وإذا أرادوا أن يعيبوه في خُلُقه يقال: ثيابه دَنِسَه، أي ليست بطاهرة.

إذاً تخصيص الثياب بالأعمال تفسير لغوي وليس بتأويل، وهذا التنبيه لأنَّ كثيراً من الناس لا يُفرِّقون بين التفسير وبين التأويل، فإذا رأوك تُفسِّر مثل هذا التفسير يقولون: أنتم تقولون لا نُؤول ولكنْ تُؤولون؟!.

التأويل المذموم: هو التحريف، تحريف الكلمة، وأنْ تُحمَّل الكلمة ما لا تتحمل لا لغة ولا شرعاً.

أما التفسير اللغوي: تفسير المفردات باللغة ليس بتأويل، ولكنه تفسير وبيان.

والتأويل في لغة المفسرين كما نعلم بمعنى التفسير والبيان إنما التأويل عند المتأخرين بمعنى التحريف.

﴿ وَالرُّجْزَ فَاهْجُر ﴾ يقول الشيخ: الرجز؛ الأصنام والأوثان، وكل ما عُبِد من دون الله تعالى، وهجرها تركها وترك أهلها، والبراءة منها ومن أهلها، أي الكفر بها، والإيمان بتوحيد الله تعالى.

أخذ على هذا عشر سنين، يدعو إلى التوحيد وإلى إفراد الله تعالى، لأنَّ القوم تمكنت منهم الوثنية والشرك، وبعد العشر عُرِجَ به إلى السَّماء حكمة منه سبحانه وتعالى قبل الهجرة إلى المدينة.

عُرج به إلى السَّماء، وفُرضت عليه الصلوات الخمس، هذا العروج وإيجاب الصلوات عليه هو فوق السماوات السبع بعد سدرة المنتهى إلى أنْ وصل إلى حيث يسمع صرير الأقلام؛ أقلام الملائكة وهم يكتبون المقادير، وصل إلى هناك وحده بعد أنْ تأخَّرَ جبرائيل عند سدرة المنتهى لم يتجاوزها، وانفرد وحده ﷺ بهذا المقام، فخاطبه ربُّه مباشرة دون واسطة جبرائيل، فَكَلَّمه وأسمعه كلامه، رسولنا ﷺ سمع كلام الله مباشرة في تلك الليلة وفي تلك اللحظة عندما أوجب عليه الصلوات، وهذا مما يستدل به على أنَّ الله سبحانه وتعالى يتكلم بكلام يسمع له صوت (صوت يُسمع)، فرسول الله ﷺ سمع كلام الله بصوت الله في ليلة الإسراء والمعراج بدون واسطة، مباشرة، وكل مَن خاطبهم ربهم من الأنبياء إنَّما سمعوا كلام الله بصوت،

وأُكرِّر هذا في كل مناسبة رادّاً على الأشاعرة الزاعمين بأنَّ كلام الله الحقيقي ليس بحرف ولا صوت وإنما هو معنىً واحد قائمٌ بذات الله، هو الذي يترجم إلى العربية فيقال له: قرآن، وإلى السريانية والعبرية فيقال لها: توراة.

يا ليت شعري مَن الذي ترجم كلام الله الذي في نفس الله؟ من الذي ترجمه إلى هذه اللغات؟ من هو؟ جبرائيل أمْ محمد؟ وهل عَلم أحدٌ بما في نفس الله حتى يترجم هذه الترجمة؟ إنَّ القوم لم يفكروا أدنى تفكير عندما قالوا هذا الكلام، ولكنها عقيدة تقليدية، التلميذ يُقلّد الشيخ، والشيخ يُقلِّد الشيخ الأول، وهكذا تقليدٌ مُسلسل، وليس هناك دليلٌ أو مستند ينفي أنْ يكون كلام الله بحرفٍ وصوت، بل القرآن يُصرِّح بأنَّ هذا القرآن نفسه، بحروفه كلام الله: ﴿ وِإنْ أَحَدٌ مِن المُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتى يَسمَع كَلَامَ اللهِ ﴾ [التوبة: ٦] ، كلام الله الذي قرأه رسول الله ﷺ على المشركين فسمعوه، هو هذا القرآن بألفاظه، أمَّا الصوت الذي سمعوه صوت رسول الله ﷺ، الأصوات التي نسمعها الآن أصوات القراء، مثل: صوت الحُصري، وصوت فلان ... الخ، ولكنَّ الكلام المقروء المسموع كلام الله المتلو هو كلام الباري، والمسموع صوت القارئ، وإذا قلنا: كلام الله بحرف وصوت، لا نعني الأصوات التي نسمعها الآن من القراء والأئمة عندما يقرءون القرآن أنها صوت الله، لا هذه الأصوات أصوات القراء، ولكن الكلام المتلو، كلام الباري سبحانه : ﴿ يَا أَيُّهَا المُدَّثِر ﴾ هذا كلام الله، والصوت الذي تسمعه عندما يقرأ القارئ، صوت ذلك القارئ، لذلك جعل بعض أهل العلم من السلف هذا الكلام كقاعدة: (الصوت صوت القارئ، والكلام كلام الباري).

وفي هذا الحديث أيضاً بيان مكانة الصلاة، جميع الفرائض الإسلامية والواجبات إنَّما أوجبها الله، ورسول الله ﷺ في الأرض بين أصحابه إمَّا في مكة، وإما في المدينة، ولكنَّ الصلاة، لمَّا أراد الله أن يَفرض الصلوات، رفع نبيه ﷺ إليه، وَقَرَّبه إليه، فخاطبه، فأوجب عليه خمسين صلاة، فجعل النبي ﷺ بإشارة من أخيه موسى عليه السلام يشفع لنا، فشفع لنا عند الله، فَتَردَّدَ بين موسى وبين المكان الذي سمع فيه

كلام الله عدة مرات لطلب التخفيف، فخفَّفَ الله عنَّا الصلوات، بعد أن كانت خمسين صلاة إلى خمس صلوات من حيث العدد، والأجر باقٍ إنْ شاء الله، وهذا دليل على مكانة الصلاة في الإسلام.

وصَلَّى رسول الله ﷺ بعد أن فُرضت عليه الصلوات، صَلَّى في مكة ثلاث سنين، وبعدها أُمِر بالهجرة إلى المدينة، بعد أنْ مَهَّدَ الهجرة إلى المدينة لأصحابه المستضعفين بالهجرة إلى الحبشة كما سيأتي.

((والهجرة: الانتقال من بلد الشرك إلى بلد الإسلام)).

الهجرة في الاصطلاح: الانتقال من بلد الشرك إلى بلد الإسلام.

وكيف سُمِّيَت هجرة الصحابة من مكة إلى الحبشة هجرة؟ إذ والحبشة ليست دار إسلام، دار كفرٍ، وإنْ كان الكفر يتفاوت، كانوا نصارى من أهل الكتاب.

هاجر الصحابة من أذى المشركين إلى الحبشة بإشارة من رسول الله ﷺ، وأرض الحبشة ليست دار إسلام. إذاً كيف يطلق على تلك الرحلة وذلك السفر، هجرة الصحابة إلى الحبشة؟ يطلق عليها من الناحية اللغوية.

الهجرة في اللغة: الانتقال من مكان إلى مكان.

ودائماً تلاحظون المعنى اللغوي أوسع من المعنى الشرعي والاصطلاحي.

مجرد الانتقال من بلد إلى بلد يُسمى هجرة لغةً، وشرعاً لا يسمى هجرة إلا إذا كان الانتقال من دار الكفر إلى دار الإسلام، ثم هجرة الصحابة عند التحقيق ليست الهجرة المعروفة، ولكنها رحلة دعوى وتبليغ ونشر الدعوة، وليشرحوا الدعوة الجديدة في القارة الإفريقية، هذا الذي أزعج أهل مكة، قالوا: دعوة الرجل خرجت إلى أفريقيا، إلى النجاشي، وكان معروفا لديهم لذلك تضايقوا، إلى أنْ اختاروا وفدا يرأسه أَدهى رجالات العرب؛ عمرو بن العاص، وَزَوَّدُه بكل المعلومات والهدايا المحبوبة إلى ملوك الحبشة، فتقدَّم واتصل بالملك وبرجال البلاط، ورش الأرض

كما يقولون بالهدايا ليقبل طلبه، ما هو الطلب؟ أنْ يُسلِّم لهم هؤلاء الوفد، وصفهم بأنَّهم سفهاء، هكذا دائماً أهل الباطل يصفون أهل الحق بالسفاهة والجنون وقِلَّة الفهم، سفهاء خرجوا من دين آبائهم ولم يدخلوا في دينك، كأنَّه يريد؛ لا يوجد هنا غير ديننا ودينك أيها النجاشي، وهؤلاء لا هم في دينك ولا في دين آبائهم، بدليل أنَّهم إذا دخلوا عليك لا يسجدوا لك، تحية ملوك الحبشة، لأنهم سفهاء، هكذا دعاهم، وجاؤوا يتقدمهم جعفر بن أبي طالب، فوقف بالباب ورفع صوته يستأذن: عليك حزب الله، بأعلى صوته، صوت غريب من رجل غريب، قال: فليُعِد، فأعادَ: يستأذن عليك حزب الله، وقع في نفس النجاشي بأنَّ القوم ليسوا بعاديين، قال: فليدخلوا، فدخل جعفرٌ يتقدمهم، دخل عليه أنفاً غير منحني واقف، فعند ذلك سأله النجاشي: لماذا لم تسجد لي؟ أي لم تُحيِّني بتحية قومي؟ قال: إنَّما نسجد للذي مَلَّكَك، لا نسجد لك، نسجد للذي مَلَّكَك، أي للذي جعلك مَلِكَاً، الله هو الذي يؤتي الملك من يشاء، وينزع الملك ممَّن يشاء، الذي مَلَّكَك هو الذي يستحق العبادة والسجود.

تأثر الرجل، فجعل يسألهم عن الدين الجديد، وعن الرسول الجديد، وما جاء به، وما نَزَلَ عليه، باختصار: عرف الحقيقة، وَرَدَّ الهدايا لوفد قريش، فطردهم، فرجعوا خاسرين لم ينجحوا، ولمَّا أكرم أصحاب رسول الله ﷺ وفيهم بعض آل البيت، بل بعض بنات النبي ﷺ، أكرمه الله بالإسلام، فصار أول مَلِك من الملوك المعاصرين، آمن برسول الله ﷺ وأعلن إيمانه، هكذا معنى هجرة الصحابة إلى الحبشة، ليست الهجرة المعروفة المعهودة، وإنَّما هي دعوة إلى الله، وتبليغ لرسالة الله، وشرح لدِين الله الجديد، ليَعرف القِدم هناك، وتنتشر الدعوة، وتخرج من الجزيرة، وهذا هو هدف الهجرة.

قال الشيخ -رحمه الله تعالى-:

((والهجرة فريضة على هذه الأمة من بلد الشرك إلى بلد الإسلام، وهي باقية حتى تقوم الساعة)) في هذا الوقت توجد أنواع من الهجرة غريبة، يهاجر بعض المسلمون بعد أن يتضايقوا في أرض، ولم يتمكنوا من إظهار دينهم، وتعبوا من

المتابعة والاستفهامات، يهاجرون إلى بعض دول أوروبا - هجرة - ويتمكنون من إقامة شعائر الدين هناك، يبنون المساجد والمدارس، وفي فرنسا بلغني، تحولت مدينة كأنَّها مدينة عربية إسلامية من كثرة المساجد والمدارس، قام بذلك بعض المهاجرين من العرب، لا داعي لذكر بلدهم، وهؤلاء كثيرا ما يأتون في الحج ويتصلون بنا، ويحضرون الدروس، يحملون المعلومات من الحرمين بواسطة التسجيل وينشرون الدعوة هناك من الأشرطة، فانتشرت الدعوة على المنهج السلفي بحمد الله تعالى، و هؤلاء يتصلون بنا دائماً، في كُلِّ موسم يحضرون، و كثيرا ما يطلبون من المشايخ هنا أنْ يصوموا عندهم، ويفعل هذا بعض الناس إذا تمكنوا، ويأتوننا بأوتوبيسات في الحج، ويعملون بالدعوة أكثر مما نعمل، هناك نسبة بين عملنا وعملهم، نحن نعمل في بلد إسلامي، آمنين على أنفسنا وأموالنا وكل شيء، أولئك يعملون في دار الكفر، حَوَّلوا بجهودهم بتوفيق الله تعالى مدناً أصبحت دار إسلام، أفتى لهم بعض المشايخ أنْ تلك المدينة أصبحت دار إسلام، لهم أنْ يعيشوا فيها ولا يتضايقوا، لا يقولون نحن هاجرنا من دار الإسلام إلى دار الكفر، لأنهم تمكنوا مِن تحويل مدينتهم إلى دار إسلام ولله الحمد والمنة.

هكذا توجد بعض أنواع الهجرة في هذا الوقت، مسلمون ومن العرب في الكثير، يتضايقون في أرضهم فيصبحون غرباء، فيهاجرون، فيفتح الله عليهم هناك، ويعيشون مرفوعي الرأس، يدعون إلى دين الله تعالى بحرية، ومثل هذا جائز استدلالا بهجرة الصحابة إلى الحبشة، وأنهم عاشوا هناك يعبدون الله تعالى بحريتهم بعد أن تضايقوا في مكة.

وأمَّا هجرة أفرادٍ من المسلمين إلى أوربا، إلى أمريكا، إلى الدول الشرقية، ليعيش وحيداً بين الكفار لا يستطيع أنْ يُظهِر شعائر دينه، وربَّما كُلِّف كما بلغنا أنْ يترك صلاة الظهر والعصر، ويجمع كل يوم صلاة النهار إلى الليل، يصلي في الليل، وفي النهار لا يمكن، ويتطور الأمر إلى درجة أنه يترك الجمعة مطلقاً، لأن الإجازة عندهم يوم الأحد، ويوم الجمعة يوم عمل، يضطر إلى أنْ يُطيع جورج مدير

الشركة، عبد الرحمن يُطيع جورج، جورج يقول له: عندنا إجازة يوم الأحد، الجمعة لا، إنْ شِئتَ عَملْتَ عندنا، وإنْ شِئتَ تَركتَ، يعيش هناك حياة الحيوان للأكل والشرب والنكاح ليس عنده غير هذا، يترك دِينه، مثل هذه الحياة غير جائزة.

مَن ابتلِيَ بمِثل هذه الهجرة، أي أنْ يُهاجِر وحده ليعيش بين الكفار ذليلاً ناسياً عِزَّ الإسلام، ﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [المنافقون: ٨] ناسياً هذا المعنى، يعيش تحت إدارة جورج مُتذلِّلاً له، مطأطأ رأسه أمامه، يا سيدي يا سيدي، يطلب الإجازة، وجورج لا يجيز، ومثل هذه الحياة حرام، وحرام أنْ يعيش مُسلم كهذه الحياة في بلاد غير بلاد الإسلام.

وإذا أُوذِيَ مُسلم في بلده وهناك بلدٌ إسلامي يستطيع أن يعيش فيه، ويعبد الله بحريته، يَأْمَنُ على نفسه، ومالِه، ودينه، وَجَبَ عليه أنْ يُهاجِر، اللهم إلا إذا كان بقاءه هناك تحت الإيذاء فيه مصلحة للدعوة الإسلامية، قد يُؤذى في نفسه، ومالِه، لكنَّه يُؤثر ببقائه هناكُ كأن كان طالب عِلمٍ ومن العلماء، ينشر العلم والدعوة سِرَّاً في بيته، وفي كلِّ مناسبة، صابراً على الأذىُ مِثل هذا لا ينبغي أنْ يُهاجِر، ينبغي أنْ يبقى هناك صابراً على الأذى ما لم يؤمر بكفر بواح، وما لم يُنهى عن الصلوات، أمَّا إذا كان مجرد الإيذاء في نفسه، ومالِه، عليه أنْ يَصبر، فيبلغ دعوة الله هناك.



المتن

📖 قال الإمام المصنف – رحمه الله تعالى -:

وهي باقية إلى أن تقوم الساعة، والدليل قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ المَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِم قَالُوا فِيمَ كُنْتُم قَالُوا كُنَّا مُسْتَضعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيراً ۞ إِلَّا المُستَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالوِلْدَانِ لَا يَستَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهتَدُونَ سَبِيلاً ۞ فَأُولَئِكَ عَسَى اللهُ أَنْ يَعفوَ عَنْهُم وَكَانَ اللهُ عَفوّاً غَفُوراً ﴾ [النساء : ٩٧ - ٩٩] ، وقوله تعالى: ﴿ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ ءامنوا إِنَّ أَرضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعبُدُونِ ﴾ [العنكبوت : ٥٦] ، قال البغوي - رحمه الله تعالى-: « سَبَبُ نزول هذه الآيةِ في المسلمين الَّذين بمكةَ لم يهاجروا، ناداهم الله باسم الإيمان » .

والدليل على الهجرة من السُّنَّةِ؛ قوله ﷺ: «لا تَنقطعُ الهجرةُ حتى تنقطعَ التوبةُ، ولا تَنقطعُ التوبةُ حتى تَطلُعَ الشَّمسُ مِن مَغرِبِهَا »(١).

فلمَّا استقرَّ بالمدينة؛ أَمرَ ببقية شرائع الإسلام – مثل: الزَّكاة، والصَّوم، والحجِّ، والأَذَانِ، والأمرِ بالمعروفِ، والنَّهي عن المنكرِ وغير ذلك من شرائع الإسلام- أخذ على هذا عشر سنين.

---

(١) أخرجه أبوداود: ٢٤٧٩، وأحمد في مسنده: ١٦٩٠٦، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع: ٧٤٦٩ .

وتُوفِّيَ -صلوات الله وسلامه عليه- ودِينه باقٍ، لا خيرَ إلا دَلَّ الأمّة عليه، ولا شَرَّ إلا حَذَّرَها منه، والخير الذي دَلَّ عليه: التوحيد، وجميع ما يُحبُّه الله ويرضاه. والشَّرُّ الذي حَذَّرَ منه: الشرك، وجميع ما يَكرهه الله ويأباه.

بعثه الله إلى الناس كافَّةً، وافترضَ طاعَتَهُ على جميع الثَّقلين -الجِنِّ والإنسِ-؛ والدليل قوله تعالى: ﴿ قُل يا أيُّها النَّاسُ إنِّي رسولُ اللهِ إليكم جميعاً ﴾ [الأعراف : ١٥٨].

وأكملَ اللهُ بِهِ الدِّين؛ والدليل قوله تعالى: ﴿ اليومَ أكملتُ لكم دِينَكُم وَأَتمَمْتُ عليكم نِعمَتِي وَرَضِيتُ لكُم الإسلامَ دِيناً ﴾ [المائدة : ٣] .

والدليل على موتِه ﷺ؛ قولُه تعالى: ﴿ إنَّكَ مَيِّتٌ وَإنَّهُم مَيِّتُون ۞ ثُمَّ إنَّكُم يَومَ القِيَامَةِ عندَ رَبِّكُم تَختَصِمُون ﴾ [الزمر : ٣٠-٣١] .

الشرح

لا نزال في بحث الهجرة، هجرة النبي ﷺ من مكة إلى المدينة، وبيان معنى الهجرة.

سبق أنْ قلنا:

الهجرة في اللغة: الانتقال مِن مكان إلى مكان.

وفي الاصطلاح: الانتقال مِن دارِ الشِّركِ إلى دارِ الإيمانِ، أو الانتقال مِن دار الخَوفِ إلى دارِ الأمنِ.

وهذا التعريف الثاني زادَهُ الإمام النووي، وبه يصح إطلاق الهجرة على هجرة أصحاب رسول الله ﷺ إلى الحبشة، وإلا على التعريف الأول لم يكن انتقالهم من دار الكفر إلى دار الإسلام، ولكن كان انتقالهم من دار الخوف والقلق، والخوف على الدين، وعلى النفس، إلى دار الأمن والأمان، مِن مكانٍ كانوا يخافون فيه على أنفسهم، ودينهم، ويخافون على عبادة الله تعالى بحريتهم، انتقلوا إلى مكانٍ يأمنون فيه على أنفسهم، ودينهم، وعبادتهم، بهذا المعنى يصح اصطلاحاً إطلاق الهجرة على سفر أصحاب رسول الله ﷺ إلى الحبشة، وإلا فتكون هجرتهم هجرة لغوية، ويكون الهدف كما قلنا: نشر الدعوة، وتبليغ الناس في إفريقيا الدين الجديد، وما جاء به خاتم النبيين محمد ﷺ.

((والهجرة فريضة على هذه الأمة من بلد الشرك إلى بلد الإسلام وهي باقية حتى تقوم الساعة)) .

حتى قال بعض الأئمة كالإمام مالك : ((إذا كان الإنسان يوجد في بلد يُسب فيه السلف الصالح ولا يستطيع منعهم، وجب عليه الهجرة من ذلك المكان))، أي لو ابتلي فردٌ مسلم يعيش بين أعداء أصحاب رسول الله ﷺ والتابعين، ويسبونهم علناً، وهو لا يستطيع معارضتهم ومنعهم، لا يجوز البقاء بينهم، بل يجب عليه أنْ يغادر ويهاجر من ذلك المكان إلى مكان آخر، نَصَّ على هذا الإمام مالك -رحمه الله-.

((والدليل على وجوب الهجرة؛ قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُم المَلَائِكَة ظَالِمِي أَنْفُسِهِم قَالُوا فِيمَ كُنتُم قَالُوا كُنَّا مُستَضعَفِينَ فِي الأَرضِ ﴾)) .

هذه الآية كما قال الإمام البغوي وغيره من أهل العلم: نزلت في قومٍ نطقوا بالإسلام ولم يهاجروا، نطقوا بكلمة الإسلام: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ولكنَّهم لم يهاجروا مع رسول الله ﷺ، وإلى رسول الله ﷺ، بل بقوا بين المشركين بمكة.

وكانت الهجرة في ذلك الوقت شرطٌ لقَبول الإسلام؛ مَن اعتنق الإسلام يجب عليه أنْ يلحق برسول الله ﷺ، ولا يجوز له البقاء بمكة، هؤلاء لم يخرجوا، ولما خرج المشركون إلى بدر خرجوا معهم ليقاتلوا المسلمين معهم فَقُتِلُوا، وفيهم نزلت هذه الآية: ﴿ إنَّ الَّذين توفَّاهُم المَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِم ﴾، و(ظالمي أنفسهم) حال، أي حال كونهم ظالمين أنفسهم، وظالمي أنفسهم في البقاء بين المشركين بعد أن نطقوا بكلمة الإسلام، أو ظالمي أنفسهم بالشرك حيث لم يُقبَل منهم إسلامهم ونطقهم بكلمة الإسلام، واعتبروا من المشركين، فالملائكة يَضربون وُجوههم وأدبارهم، ويقولون لهم: فيما كُنتم؟ في أي فريق كُنتم؟ هل كُنتم مع المسلمين أو كُنتم مع المشركين؟ فيما كُنتم؟ في أي شيء كنتم؟ في الإسلام أو في الشرك؟

استفهام تقريعي، وتوبيخ وتعيير، قالوا وهم يعتذرون: ﴿ كُنَّا مُستَضْعَفين فِي الأَرضِ ﴾، عَلِمَ الله بأنَّ هذا العذر باطل، لم يَقبل منهم هذا العذر.

﴿ قَالُوا أَلَمْ تَكُن أَرْضَ اللهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا ﴾ يدخل في أرض الله دخولاً أولياً المدينة، أرض الله الواسعة وفي مقدمتها المدينة النبوية، لماذا لم تُهاجروا إليها؟ ﴿ فَأُولَئِكَ مَأوَاهُم جَهَنَّم وَسَاءَتْ مَصِيراً ﴾، وهذا دليل أنَّ الله لم يَقبل عذرهم، وأنَّ عذرهم باطل، تعليلٌ غير مقبول، ولذلك عَذَرَ الله من عَلمَ صحة عذرهم؛ فقال الرب سبحانه: ﴿ إِلَّا المُستَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالوِلْدَانِ لَا يَستَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهتَدُونَ سَبِيلاً ﴾ هؤلاء عَذرَهُم الله، مَن كان من الرجال والنساء والأطفال العاجزين عن الهجرة وهم باقون بين المشركين عذرهم الله سبحانه وتعالى، فقال: ﴿ فَأُولَئِكَ عَسَى اللهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنهُم وَكَانَ اللهُ عَفُوّاً غَفُوراً ﴾ .

يقول عبد الله بن عباس: هو وأمه من هؤلاء المعذورين، من المستضعفين الذين قَبِل الله عُذرَهم، هكذا إذا كان الإنسان صادقاً مع الله، وعَلِمَ الله عُذرَه وعجزه، وأنَّه لا حِيلَة له، يَقبل الله عُذرَه ويعفوَ عنه، هذه قاعدة في كل شيء ، الله سبحانه وتعالى لا تنطلي عليه الأمور، لا كما يَفعله بعض الناس الآن، يلوذون باسم الإسلام، ويُنادُون باسم الإسلام، ويَتَشَدَّقُون باسم الإسلام إذا اشتدَّت بهم الأمور، وهم دعاة ضد

الإسلام، ومُعادُون للإسلام، وعلمانيون لا إسلام لهم، ولكن إثارةً للنفوس، قد يعتذرون بالإسلام، فالله سبحانه وتعالى لا تنطلي عليه الأمور، يجب أنْ يَصدق العبد مع الله، مَن كان صادقاً في عُذرَه، وفي إسلامه، وفي تمسكه بدِين الله، قَبِلَ الله عُذرَه، ومَن لا؛ فلا.

هؤلاء الأولون منهم اعتذروا ﴿ **قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ** ﴾ ، لم يقبل الله عُذرَهم لأنَّهم غير صادقين، ولكن عَذَرَ العاجزين؛ فقال في حَقِّهم: ﴿ **فَأُولَئِكَ عَسَى اللهُ أَنْ يَعفوَ عَنهُم** ﴾ و(عسى) من الله واجب ليس للرجاء، ﴿ **وَكَانَ اللهُ عَفُوّاً غَفُوراً** ﴾.

كذلك مما يذكر هنا، إذا أوجب الله شيئاً، أو حَرَّم شيئاً، لابُدَّ حكمة منه، ورحمة للعباد أن يستثني. أوجب الله الهجرة على كل من آمن بحيث لا يقبل عذره، ولا يقبل إسلامه حتى يُهاجرَ، ذلك قبل فتح مكة، وانقطعت هذه الهجرة وهذا الوجوب بفتح مكة، وقبل ذلك لا يقبل من أحدٍ إسلامه حتى يهاجر، هذه كانت كقاعدة، ومع ذلك استثنى الله المستضعفين والمضطرين إلى البقاء، الذين لا يجدون حيلة في السفر.

لمَّا حَرَّمَ الله المَيتة، والدَّمَ، ولحم الخنزير، استثنى المُضطرِّين إلى أكل الميتة، وأكل لحم الخنزير، وأكل الدَّم، رحمة منه سبحانه وتعالى.

لا تجد لو تَتَبَّعتَ واستقرأت الكتاب والسُّنَّة قاعدة كهذه إلا وتجد الاستثناء، وذلك الاستثناء قاعدة قَعَّدَ منها الأصوليون؛ قالوا: الضرورات تبيح المحظورات.

❁ هل يجوز الاستعانة بالكافر في قتال الكافر:

بهذه المناسبة: **﴿ لما كان يوم بدر، تَبِعَ رسول الله ﷺ رجلٌ مشرك؛ فقال يا رسول الله: أريد أنْ أتبعك فأُصيب معك ما تصيب.**

فقال له: ((هل تؤمن بالله ورسوله؟)) قال: لا.

قال: ((ارجع فلن أستعين بمشرك)).

فَتَبِعَه مرة ثانية، قال له: أُريد أنْ أتبعك فأنال مما تنال، قال له: « هل تؤمن بالله ورسوله؟ » قال: لا، قال: « ارجع فلن استعين بمشرك » .

فأدركه مرة ثالثة؛ فقال له كما قال في المرة الأولى والثانية، قال : « هل تؤمن بالله ورسوله؟ » قال : نعم. قال : انطلق فجاهد معه. [1]

هذا الحديث اختلف أهل العلم في توجيهه:

– منهم من قال: إنَّما فعل رسول الله ﷺ ذلك لأنَّه عَلِمَ بأنَّ هذا الرجل سوف يُسلِم إذا رَدَّه مرة أو مرتين، يدخل في الإسلام، عَلِمَ ذلك بالوحي، لذلك رَدَّه في المرة الأولى والثانية حتى أسلم وأكرمه الله بالإسلام، فتبع رسول الله ﷺ، وجاهد معه.

من يذهبون هذا المذهب منهم: الإمام أبو حنيفة وأصحابه، وكثيرٌ من أهل العلم يرون جواز الاستعانة بالمشرك على المشرك؛ لأنَّ هذا الحديث لم يكن الغرض منه التحريم، ولكن الغرض منه هو ترغيب الرجل بالإسلام؛ بدليل أن رسول الله ﷺ استعان بصفوان بن أمية في غزوة حنين وهو مشرك، وَأَقَرَّ الرجل الذي عَلم بوحي من الله بأنه كافر ومن أهل النار، في بعض الوقائع (في واقعة أحد) كان يقاتل قتالاً مريراً، وقتل كثيراً، فأُعجب به الصحابة، فكان النبي ﷺ يقول: **« إنه من أهل النار »** ، اندهش الصحابة من هذا الخبر، رجلٌ يبلي بلاءً حسناً كهذا بين يدي رسول الله، ويقول فيه رسول الله ﷺ إنه من أهل النار!، تَبِعه أحد الصحابة لِيَعرِف مصيره، وفي النهاية جُرِحَ الرجل جرحاً شديداً فلم يصبر؛ اتكأ على سيفه فقتل نفسه، فأُخبر النبي ﷺ بما جرى؛ فقال: **« أشهد أَني رسول الله »**، ثم قال: **« إن الله لَيَنصُر هذا الدِّين بالرَّجل الفاجِر »** [2] ، ومع ذلك لم يمنعه الرسول ﷺ من المشاركة في الجهاد وفي القتال.

من ذهب هذا المذهب، يرون جواز الاستعانة بالكافر على الكافر.

---

(١) أخرجه مسلم: ١٨١٧، وأحمد في مسنده: ٢٥١٥٨.

(٢) أخرجه البخاري: ٣٠٦٢، ومسلم: ١١١ .

▬وَمَن يذهبون مذهباً آخر، يأخذون ظاهر حديث عائشة عند مسلم في قصة بدر التي ذكرنا الآن، الذي تبع النبي ﷺ مرتين من يأخذونه على ظاهره بدون نظر إلى هذا الفقه الدقيق؛ يقولون: لا يجوز الاستعانة بالكافر إلا عند الحاجة.

نصَّ الإمام الشافعي على كراهة الاستعانة بهم إلا عند الحاجة، وبعد: هل تُفرِّق بين الحاجة والاضطرار؟ **ما الفرق بين الحاجة وبين الضرورة؟**

الضرورة التي هي الاضطرار، بينهما فرق كبير، إذا كان يكره الاستعانة بهم عند بعضهم عند الحاجة، وأمَّا عند الضرورة والاضطرار يكون الاستعانة بهم إمَّا جائزاً أو واجباً كأكل الميتة؛ أكل الميتة قد يكون جائزاً، وقد يكون واجباً، إذا كنت محتاجاً إلى أكل الميتة فجائز، وإذا كنت مضطراً فواجب.

الفرق بين الحاجة وبين الضرورة:

إذا كنت ظمآناً ترغب في شرب الماء، ولكن لو لم تشرب لا يلحقك ضرر، هذه تُسمَّى: حاجة.

وأمَّا إذا كنت مُضطراً إلى شرب الماء بحيث لو لم تشرب يلحقك الضرر والهلاك، يجب أنْ تشرب، [هذه تُسمَّى: ضرورة].

وكذلك في أكل الميتة، وفي مسألة الاستعانة بالكفار كذلك، إنْ كانت المسألة مسالة اضطرار: كأن خفت على نفسك، ودِينك، ومقدساتك، وبلدك، وأمتك، ما لم تستعن بعد الله بالكافر وتطلب منه المساعدة في مثل هذا الاضطرار، الاستعانة بهم واجبة، وفي دون الاضطرار؛ عند الحاجة العادية، الاستعانة بهم جائزة، هذا على رأي الطائفة التي ترى عدم الجواز في الأصل.

أمَّا الذين ذهبوا المذهب الأول يرون أنَّ ذلك جائز مطلقاً، وإنَّما مَنَعَ النبي ﷺ الرجل أنْ يتبعه لما ذكرنا، مما كان لعِلْمِه أنَّه سوف يُسلِم.

ويذهب الحافظ ابن حجر مذهباً آخر: وهو أنَّ الاستعانة كانت ممنوعة بدليل ذلك الحديث، ثم أُبيحَت بدليل قصة صفوان.

وعلى كلٍّ، القاعدة الفقهية التي ينبغي أنْ يَفقَهها طلاب العلم: (إذا حَرَّمَ الله شيئاً، وأكَّدَ في تحريمه، نجد أنَّه يستثني حالات الاضطرار) منها ما نحن بصدده الآن .

((ومِن أدلة الهجرة أي وجوب الهجرة قوله تعالى: ﴿ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ أَرضِي وَاسَعةٌ فَإيَّايَ فاعبدونِ ﴾ [العنكبوت: ٥٦])) .

لستم مضطرين لأن تبقوا تحت الاضطرار والاضطهاد، أخرجوا من أرض الكفر إلى دار الإسلام، فاعبدوا الله هناك، أو من دار الخوف والقلق إلى دار الأمن والاستقرار، فاعبدوا الله تعالى هناك، الهجرة هكذا تكون واجبةٌ بهذه الآيات إلى أن فُتِحَت مكة.

ولكن بقيَ وُجوب الهجرة مِن محل الشرك، والاضطهاد، والإساءة إلى المسلمين وإلى الإسلام، إلى محل لا تسمع فيه كل ذلك.

قوله -رحمه الله-:

((قال البغوي -رحمه الله-: « سبب نزول هذه الآية في المسلمين الذين بمكة لم يهاجروا، ناداهم الله باسم الإيمان »)).

يعني المؤلف بهذه الآية مِن سورة العنكبوت، لا آية سورة النساء، أمَّا آية سورة النساء تَقدَّمَ سبب نزولها، وانقسام الناس فيها إلى قسمين:

إلى قسم عُذِرَ، وقِسمٍ لم يُعذَر، والآية التي يشير إليها المؤلف الآية الأخيرة: آية سورة العنكبوت.

((والدليل على الهجرة من السنة؛ قوله ﷺ: ﴿لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة - أي يغلق باب التوبة -، ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها﴾)).

وهذه الهجرة التي لا تنقطع ليست تلك الهجرة التي كانت واجبة من مكة إلى المدينة، تلك انقطعت بفتح مكة، ولكن الهجرة من دار الشرك إلى دار الإسلام كما تقدم الشرح.

قال المؤلف -رحمه الله تعالى-:

((فلمَّا استقرَّ النَّبي ﷺ بالمدينة؛ أُمِرَ ببقية شرائع الإسلام)) .

وكان التركيز في مكة على العقيدة، على تصحيح العقيدة، وبناء العقيدة وتصحيحها، ولمَّا هاجر إلى المدينة، **((واستقرَّ في المدينة؛ أُمِرَ ببقية شرائع الإسلام –مثل: الزَّكاة، والصَّوم، والحجِّ، والجهاد، والأَذانِ، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر-))** الجهاد، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر من واجبات الإسلام المهمة التي استهان بها كثيرٌ من الناس ، جهاد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر غير موجود في أكثر أرض الله.

اليوم باسم الحرية قُضيَ على الجهاد، فنسأل الله تعالى أنْ يُقويه، حيث إنَّه موجود هنا، ولكن نحس فيه شيئاً من الضعف، في هذا الجهاد، ونسأل الله أنْ يوفق المسؤولين عن هذا الجهاد حتى يُقووه، وهو من أميز الميزة في هذا البلد، ونسأل الله التوفيق والثبات، وغير ذلك من شرائع الإسلام، وأمَّا الجهاد فعند كثير من الناس شعارٌ أجوف، يرفعون الشعار فإذا جَدَّ الجد لا جهاد!، اعتذروا، أو جهاد مقلوب بمعنى معكوس، غير الجهاد الإسلامي.

أمَّا الجهاد الإسلامي لإعلاء كلمة الله قليل جداً، مَن يُجاهدون هذا الجهاد دون جعجعة، ولكن في صمت وإخلاص لله تعالى.

وقد كشف الجهاد الأفغاني كثيراً من الجهات التي كانت تُنادي وتتخذ الجهاد شعاراً أجوف، كشفهم ففضحهم، ولمَّا قام الجهاد اعتذروا، وأمَّا الذين يُنادون الآن بالجهاد الجهاد، وهم مِمَّن يجاهد فيهم، ليسوا ممن يُجاهدون في سبيل الله، والقضية معكوسة، فليفهم شباب الإسلام وطلاب العلم معنى قوله ﷺ: **« انْصُرْ أخاكَ ظالماً أو مَظلوماً »**[1]، وقد استشكل الصحابة قوله ﷺ: **« انْصُرْ أخاكَ ظالماً »** كونك تنصره مظلوماً واضح، ولكن كيف تنصر أخاك ظالماً؟

لهذا الحديث مفهومان:

❁ مفهومٌ إسلامي ❁ ومفهومٌ جاهلي

المفهوم الإسلامي: هو الذي بَيَّنَهُ النَّبيُّ ﷺ، وهو: أنْ تَكُفَّ أخاك الظالم مِن الظلم، وتمنعه من الظلم، وتحول بينه وبين الظلم، تكون بذلك قد نصرته.

أما المفهوم الجاهلي: أنْ تنضم إليه في ظلمه، فَتَظلم معه، وتُؤيده، وتصفق له، حتى يتمادى في الظلم بسبب تشجيعك وتصفيقك، وهذا ما يجري الآن للأسف بين الغوغائيين المنتسبين إلى الإسلام الذين لا يفهمون من الإسلام إلَّا هذه الكلمة الجوفاء، والله المستعان.

قال الشيخ -رحمه الله تعالى-:

((أخذ على هذا عشر سنين)) .

أي أخذَ رسول الله ﷺ يدعو إلى هذا التشريع السماوي في المدينة عشر سنين.

(١) أخرجه البخاري: ٦٩٥٢ .

((وتوفي -صلاة الله وسلامه عليه- ودينه باقٍ)) .

لم يَمُت دِينه معه، بل بَقِيَ لأنَّ الدِّين دِين الله، الذي أنزله هو ربُّ العالمين، الحيُّ الذي لا يموت.

فرسول الله ﷺ بَلَّغَ دِين اللهِ، ونشر العقيدة، والتوحيد، والشرائع، بعد أنْ ثَبَّتَ الله الإسلام والمسلمين، وفهموا ما جاء به ﷺ، قبضه إليه، ولكن لم يَقبضه إليه إلا بعد أنْ بَلَّغ البلاغ النهائي، فأكمل الله له دِينه إشارة إلى قُرب أَجَلِه ﷺ، كأنَّ الله أَعلَمَه في حجة الوداع في خطبة يوم عرفة، وفي خطبة يوم النحر، خاطب الصحابة فقال لهم: « **أنتم مسؤولون عنِّي، ماذا أنتم قائلون؟** » بعد أن خطب فيهم، وَبَيَّن لهم كل شيء قالوا: ((نشهد بأنَّك بَلَّغتَ وَنَصَحتَ)) ، ونحن نشهد معهم أنه ﷺ بَلَّغَ ونَصَحَ، فرَفَعَ الرسول ﷺ إصبعه، كان يرفعها وينكتها عليهم؛ ويقول: « **اللهم اشهد، اللهم اشهد** »[1]، وسُمِّيَت تلك الحجة حجه الوداع التي جرى فيها هذا الكلام، لأنه بعد أن رجع من الحج لم يمكث في هذه الدنيا وفي هذه المدينة أكثر من نحو ثمانين يوماً، والتحق ﷺ بالرفيق الأعلى بعد أن بَلَّغَ ونَصَحَ لأمته ﷺ، وقال ﷺ للصحابة: « **ما بعثَ اللّٰه من نَبيٍّ إلَا كانَ حَقَّاً عليه أنْ يَدُلَّ أُمَّته على خيرِ ما يَعلمُه لهم، وينهاهم عَن شَرِّ ما يَعلَمه لهم** »[2]، كلّ هذا دليل على أنَّه بَلَّغَ البلاغ المبين، فبقيَ دِينه، إلى هذا يشير الشيخ بقوله -رحمه الله-:

((لا خيرَ إلا دَلَّ الأمَّة عليه، ولا شَرَّ إلَّا حَذَّرها منه)) فأكمل الله له الدِّين.

((والخير الذي دَلَّ أمته عليه: في مقدمة ذلك التَّوحيد)) أي إفراد الله تعالى بالعبادة، فإذا أطلق التوحيد؛ المراد به توحيد العبادة.

((وجميع ما يُحبُّه الله ويرضاه)) لأنَّ الطاعات بريد التوحيد، وتُثَبِّت التوحيد، وتُصدِّق التوحيد.

---

(١) أخرجه البخاري: ١٧٤١، ومسلم: ١٢١٨ واللفظ له.

(٢) أخرجه مسلم: ١٨٤٤ .

((والشَّرُّ الذي حَذَّرها منه: الشِّرك، وجميع ما يكرهه الله ويأباه)) المعاصي بريد الشرك، وتدعو إلى الشرك، وتُزيِّن الشرك للناس.

((بَعثَه الله إلى النَّاس كافَّة)) لا إلى العرب فقط، ولا إلى الإنس فقط، بل إلى الثَّقلين.

((وافترض الله طاعته على جميع الثقلين -الجن والإنس-)) الطاعة المطلقة، فرض الله طاعته الطاعة المطلقة التي لا مراجعة فيها، التي لا تتوقف على وجود مثلها، على وجود مثل المأمور به والمنهي عنه في الكتاب، هذا معنى الطاعة المطلقة لرسول الله ﷺ، لا يوجد في المخلوقين أحد مَن له الطاعة المطلقة إلا رسول الله ﷺ.

((والدليل قوله تعالى: ﴿ قُلْ يا أيّها النَّاس إنِّي رسولُ اللهِ إليكُم جميعاً ﴾ [الأعراف: ١٥٨] **))** هذا بالنسبة للإنس، والجن داخلون أيضاً.

((وأكملَ اللهُ بهِ الدِّين)) الشيء الكامل لا يقبل الزيادة، الدين كامل، **((حيث قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ اليَومَ أَكملتُ لكُم دِينَكم ﴾** [المائدة: ٣] **))** أي في هذا اليوم الحاضر، يوم الجمعة في عرفة، وفي خطبة وادي عرنة، قال الله هذا الكلام؛ قال : ﴿ اليَومَ ﴾ أي في هذا اليوم الحاضر، في حجة الوداع ﴿ اليَومَ أَكمَلْتُ لَكُم دِينَكُم وَأَتْمَمْتُ عَلَيكُم نِعمَتِي وَرَضِيتُ لَكُم الإِسْلَامَ دِيناً ﴾، هكذا كَمَّل الله سبحانه وتعالى لنا ديننا، والدين الكامل: الشيء الكامل لا يقبل الزيادة.

لذلك كلُّ مَن أحدث في هذا الدّين، يعتبر بِدعة مردودة: « مَن أَحدَثَ فِي أَمرِنَا هَذا مَا لَيسَ مِنهُ فَهو رَدٌّ »(١) ، « مَن عَمِلَ عملاً ليس عليه أَمرنا فهو رَدٌّ »(٢)، لأنَّ الدِّين تَمَّ وكَمل، وعلى المرء الاتباع فقط.

---

(١) أخرجه البخاري: ٢٦٩٧، ومسلم: ١٧١٨ .

(٢) أخرجه مسلم: ١٧١٨ .

((والدليل على موته ﷺ؛ قوله تعالى: ﴿ إنَّكَ مَيِّتٌ وإنَّهم مَيِّتون ۞ ثُمَّ إنَّكُم يوم القيامة عند ربكم تَختَصِمون ﴾ [الزمر: ٣٠-٣١])) كثيرٌ مِن الغُلاة الَّذين يدَّعون تعظيم رسول الله ﷺ وتبجيله، إذا قلت: إنَّ النبي ﷺ مَيِّت، يغضب!، انظروا إلى الجهل! يصل المرء إلى أي درجة!، يغضب مِن قولك أنَّ النَّبيَّ ﷺ مات أو مَيِّت، كيف تقول ميت؟ الله هو الذي قال، لا يدري عمَّا قال الله، ولكن يحتكم إلى العاطفة، لا يجوز عنده أنْ تُطلِق لفظة مّيِّت أو مات على رسول الله ﷺ، بينما أثبت الله ذلك، وأقرَّ ذلك دون تردد أحبُّ النَّاس إليه -أبو بكر الصديق رضي الله عنه- عندما قال له عند وفاته: ((طِبتَ حَيّاً وميتاً يا رسول الله))(١) ، ولا ينبغي للمسلم أنْ يكون عاطفياً إلى هذه الدرجة حتى توقعه العاطفة في تكذيب خبر الله وخبر رسول الله ﷺ.



(١) أخرجه البخاري: ٣٦٦٧ .

المتن

📖 قال المصنف - رحمه الله تعالى -:

والنَّاس إذا ماتوا يُبعَثُون؛ والدليل قوله تعالى: ﴿ مِنْهَا خَلقْناكُم وَفِيهَا نُعِيدُكُم وَمِنها نُخْرِجُكُم تَارَةً أُخْرَى ﴾ [طه: ٥٥]، وقوله تعالى: ﴿ واللهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الأَرضِ نَبَاتاً ۞ ثُمَّ يُعيدُكُم فِيهَا وَيُخْرِجُكُم إِخْرَاجاً ﴾ [نوح: ١٧ - ١٨].

وبعد البعثِ مُحاسَبون، ومَجْزيُّونَ بأَعمالِهم؛ والدليل قوله تعالى:

﴿ لِيَجْزِيَ الَّذينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجزِيَ الَّذينَ أَحسَنُوا بِالحُسنَى ﴾

[النجم: ٣١].

ومَن كَذَّب بالبعثِ فقد كَفرَ؛ والدليل قوله تعالى:﴿ زَعَمَ الَّذينَ كَفرُوا أن لَّنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِما عَمِلْتُم وَذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ ﴾

[التغابن: ٧].

وأرسل الله جميع الرسل مبشرين ومنذرين؛ والدليل قوله تعالى: ﴿ رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلا يَكونَ لِلَّناسِ على اللهِ حُجَّةٌ بَعدَ الرُسلِ ﴾ [النساء: ١٦٥].

وأولهم نوح عليه السلام، وآخرهم مُحمَّد ﷺ، والدليل على أن أولهم نوح عليه السلام؛ قوله تعالى: ﴿ إِنَّا أَوحَينَا إِليكَ كَمَا أَوحَينا إلى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعدِهِ ﴾ [النساء: ١٦٣].

وكلُّ أمَّةٍ بَعثَ اللهُ إليها رسولاً - من نوحٍ إلى مُحمَّدٍ - يأمرُهم بعبادة الله وحده، وينهاهم عن عبادة الطاغوت؛ والدليل قوله تعالى: ﴿ ولقدْ بَعَثْنَا في كُلِّ أُمَّةٍ رِسولاً أنْ اعْبدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوت ﴾ [النحل : ٣٦].

وافْتَرَضَ اللهُ على جميعِ العبادِ الكفرَ بالطاغوتِ، والإيمانَ باللهِ.

قال ابن القيم -رحمه الله تعالى-: ((الطاغوت : ما تجاوز به العبد حَدَّهُ من مَعبود أو مَتبوعٍ أو مُطاع))، والطواغيت كثيرةٌ، ورؤوسهم خمسة: إبليس لَعَنَهُ اللهُ، ومَن عَبَدَ وهو راضٍ، ومَن دَعا النَّاسَ إلى عِبادةِ نَفسِهِ، ومَن ادَّعى شيئاً مِن عِلْمِ الغَيب، ومَن حَكَمَ بِغَيرِ مَا أنزلَ اللهُ؛ والدليل قوله تعالى: ﴿ لَا إكراهَ في الدِّينِ قَدْ تَبيَّنَ الرُّشدُ مِن الغَيِّ فَمَن يَكفُرْ بالطَّاغُوتِ ويُؤمِنْ باللهِ فَقدْ اسْتَمْسَكَ بالعُروةِ الوُثقَى لا انْفصامَ لها واللهُ سَميعٌ عَليمٌ ﴾ [البقرة : ٢٥٦]، وهذا معنى لا إله إلا الله.

وفي الحديث: « رأس الأمر الإسلام ، وعموده الصلاة ، وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله »[1].

والله أعلم وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

---

(١) أخرجه الترمذي: ٢٦١٦، وابن ماجه: ٣٩٧٣، وأحمد في مسنده: ٢٢٠٣٢، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع: ٥١٣٦ .

الشـرح

قال المصنف - رحمه الله تعالى -:

((والنَّاس إذا ماتوا يُبعَثُونَ)) أي مِن الأصول التي يجب الإيمان بها البعث بعد الموت، **والدليل قوله تعالى:** ﴿ **مِنهَا خَلقنَاكُم وفِيهَا نُعِيدكُم وَمِنهَا نُخرِجُكُم تارَةً أُخرَى** ﴾ أي من الأرض، والشاهد: ﴿ **وَمِنْهَا نُخرِجُكُم تَارةً أُخرَى** ﴾ هذا هو دليل البعث.

((وقوله تعالى: ﴿ **والله أَنْبَتَكُم مِن الأرضِ نَباتاً** ﴾ **))** أي إنباتاً، نباتاً اسم مصدر، والمصدر إنبات، والله أنبتكم من الأرض إنباتاً هذا هو المصدر، ونباتاً اسم مصدر، كتَوَضَّأَ وضوءً؛ أي توضأ.

﴿ **ثُمَّ يُعيدُكُم فِيها وَيُخرِجُكُم إِخراجَاً** ﴾، محل الشاهد من الآية قوله : ﴿ **ويُخرِجُكُم إِخْرَاجاً** ﴾.

((وبعد البعث النَّاس مُحاسَبون ومَجْزِيُّون بأعمالهم)) بعد البعث هناك وُرودُ الحَوض، وهناك الميزان، وهناك الحساب، وعَرْض الأعمال.

يختلف أهل العلم في الترتيب بين هذه الأشياء، ولكنَّ بعضهم يَميل إلى أنَّ أولَّ شيءٍ وُرود الحوض لأن المقام يقتضي ذلك، لأنَّ الناس يُبْعَثُون مِن قبورهم وهم عطاش بحاجةٍ إلى الماء، لذلك مَنَّ الله على أمة محمد ﷺ بالحوض المَورُود، الحوض العظيم الذي يشرب منه أهل الجنة، يَرِدُ المؤمنون هذا الحوض العظيم ورسول الله ﷺ ينتظرهم هناك، وهو فَرط أمته إلى الحوض، ومنبره على حوضه، وهذا الحوض العظيم النَّاس بحاجةٍ ماسةٍ إلى الشرب منه، وهُم بُعِثوا مِن قبورهم مِن شِدَّة العطش، ولكنَّ بعض النَّاس يَرِدُون ويُطْرَدُون من الحوض، ورسول الله ﷺ لا يدري

عن سبب طردهم، لذلك يقول: « يا رب أمتي أمتي، أو أصحابي أصحابي » فيُقال له: ((لا تدري ما أحدثوا بعدك)) إنَّ هؤلاء غَيَّرُوا وبَدَّلوا بعدك، فيقول النبي ﷺ:

« سُحْقاً لِمَن بَدَّلَ وَغَيَّر »(١).

استدلَّ أهل العلم بهذا الحديث بأنَّ رسول الله ﷺ لا يدري ما يحدث بعده من التغيير، والتبديل، والردَّة، والابتداع في هذا الدِّين، لا يدري عن ذلك، لأنَّ عِلْمَ الغَيب العام لله وحده، والأنبياء لا يعلمون حتى في حياتهم إلا بإعلام الله إياهم بعض الأمور.

يتعارض هذا الحديث مع حديث وَرَدَ أنَّ الأعمال تُعرض على رسول الله ﷺ، أعمال أمته، وَرَدَ في ذلك الحديث: إنْ رأى خيراً حمد الله، وإنْ رأى غير ذلك استغفر الله لأمته(٢).

قال أهل العلم في التوفيق بين الحديثين:

إنَّ حديث عَرْض الأعمال غير صحيح، وعلى فرض صحته، يَعلم بالجملة لا بالتفصيل، أمَّا بالتفصيل أنَّ فلاناً هو الذي غَيَّر، وهو الذي بَدَّل، وهو الذي ارْتَدَّ، لا يعلم ذلك، للتوفيق بين هذا الحديث وبين حديث العرض على الحوض، وطرد بعض الناس من الحوض.

وعلى كلٍّ قال: أنَّ أول ما يحصل بعد البعث ورود الحوض، ثمَّ الميزان، ثمَّ الحساب والعرض.

المراد **بالحساب:** المناقشة.

العرض: عرض الأعمال، وعرض الكتب.

---

(١) أخرجه البخاري: ٧٠٥٠، ومسلم: ٢٢٩٠.

(٢)] يشير إلى قول النبي ﷺ: ((حياتي خير لكم، تحدثون ويحدث لكم، ووفاتي خير لكم، تعرض علي أعمالكم، فما رأيت من خير حمدت الله عليه، وما رأيت من شرٍّ استغفرت الله لكم))، رواه البزار في مسنده، وضعَّفه الألباني في السلسلة الضعيفة: ٩٧٥ .

والحساب: المناقشة، و ﴿مَن نُوقِشَ الحساب عُذِّبَ﴾(١) - نسأل الله لنا ولكم السلامة -.

وبعد ذلك الناس ((مجزيون بأعمالهم)) وعند الجزاء: مِن النَّاس مَن يكون جزاؤهم لكثرة أعمالهم الحسنة، ولشِدَّة إخلاصهم، وتحقيقهم التوحيد، مَن يُثابون بعدم دخول النار، بل ليس عليهم حساب ولا عقاب، ويدخلون الجَنَّة مِن أول وهلة، أولئك الَّذين لا يَسترقون ولا يكتوون ولا يتطيرون(٢)

وبعد ذلك، مِن النَّاس مَن تتساوى سيئاتهم وحسناتهم، فيشفع فيهم رسول الله ﷺ أو غيره، لأنَّ هذه مِن الشفاعة العامة، فيدخلون الجنة قبل أنْ يدخلوا النَّار.

ومَن الناس مَن يؤمرون بدخول النار لكثرة أعمالهم السيئة، وقِلَّة أعمالهم الحسنة، وبعد الأمر بهم إلى النَّار يَشفع فيهم رسول الله ﷺ بإذن ربِّه، فيُحَوَّلون إلى الجَنَّة.

ومِن النَّاس مَن لا تُسعفهم الشفاعات قبل دخول النَّار، فيدخلون النَّار، فيَشفع فيهم رسول الله ﷺ وغيره من الشافعين، وقد يكونون مِن أصحاب الكبائر فيَخرجون مِن النَّار بشفاعة الشافعين، إلى هذا يشير رسول الله ﷺ بقوله: ((شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي)) (٣)

وفي النهاية يُنظر مَن في قلبه أدنى أدنى مثقال ذرةٍ مِن إيمان، يُخرَجون مِن النَّار وَيُطرَحون في نهر الحياة، ويَنبُتون كما يَنبُت البقل، أي بعد التطهير والنظافة يدخلون الجنَّة، لأنَّ الجنَّة دار الطيبين، لا يدخلها إلا الطيبون.

---

(١) أخرجه البخاري: ٦٥٣٦، ومسلم: ٢٨٧٦ .

(٢) يشير إلى قول الرسول ﷺ: ((يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفاً بغير حساب))؛ قالوا مَن هم يا رسول الله؟ قال: ((هم الَّذين لا يَسْتَرقون، ولا يَتطيَّرون، ولا يَكتَوون، وعلى رَبِّهم يتوكَّلون)) أخرجه البخاري: ٥٧٠٥، ومسلم: ٢١٨ .

(٣) أخرجه أبو داود: ٤٧٣٩، والترمذي: ٢٤٣٥، وأحمد في مسنده: ١٣٢٢٢، وصَحَّحه الألباني في صحيح الجامع: ٣٧١٤ .

الخلاصة من عقيدة أهل السنة والجماعة:

اعتقاد أنَّه لا يخلد في النَّار مَن كان في قلبه أدنى أدنى أدنى مثقال ذرة مِن إيمان ، وفي لفظ: (من خير) المراد الإيمان(١) ، سواءً كان ذلك بشفاعة الشافعين، أو بمحض رحمة أرحم الراحمين سبحانه، هكذا الناس مجزيون بأعمالهم، وقد يُسعفهم الله ﷻ بشفاعة الشافعين من غير عمل، أي بعد أنْ عجزت أعمالهم.

((والدليل قوله تعالى: ﴿ وللهِ ما في السماواتِ وما في الأرضِ لِيَجزِيَ الذين أَساءُوا بِما عَمِلُوا ﴾ [النجم: ٣١] دون زيادة، وهذا من فضل الله وكرمه **﴿ وَيَجزِيَ الَّذينَ أَحْسَنُوا بِالحُسْنَى ﴾))** بل كَيُسرٍ منهم يُجزون بالحُسنى وزيادة.

الحُسنى: الجَنَّة، **والزيادة:** النظر إلى وجه الله تعالى بالنسبة إلى المؤمنين الذين يؤمنون بصفة الوجه، أما الذين يُنكِرون وجه الله الكريم فهؤلاء جديرون وَقَمِنُون بأنْ يُحرموا النَّظر إلى وجه الله تعالى، لأنَّهم لم يُؤمنوا به.

((ومن كَذَّب بالبعث كَفَرَ)) التكذيب بالبعث كفرٌ بالله لأنه تكذيب بخبر الله، وخبر رسول الله ﷺ، مَن كَذَّب خبر الله سواء كان في البعث، أو في بعض صفاته، أو في الأحكام والعبادات، في أي خبر، مَن كَذَّب خبر الله، وخبر رسوله ﷺ يَرتَدّ، وذلك من نواقض الإسلام.

---

(١) يشير الشيخ -رحمه الله- إلى حديث الشفاعة، الذي أخرجه البخاري: ٧٥١٠، ومسلم: ١٨٣ .

((والدليل قوله تعالى: ﴿ زعمَ الَّذينَ كَفَرُوا أنْ لَنْ يُبعَثُوا ﴾، وصفهم بأنهم كفروا

﴿ زَعمَ الَّذينَ كَفرُوا أنْ لَنْ يُبعَثُوا قُلْ بَلى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّئُونَّ بِمَا عَمِلتُم وَذلك على اللهِ يَسيرٌ ﴾ [التغابن: ٧])).

الذي أوجدكم من لا شيء لا يعجز مِن أنْ يبعثكم بعد الموت، لأنَّه من الناحية النظرية العقلية الابتداء أصعب من الإعادة، وليس على الله شيء صعب.

((وأرسل الله جميع الرسل مبشرين ومنذرين)) هذا فيه بيان لوظائف الرسل، وظيفتهم: التبشير للمؤمنين والإنذار للعصاة.

((والدليل قوله تعالى: ﴿ رُسلاً مُبشِّرين وَمُنذِرين لِئَلا يكونَ لِلنَّاسِ على اللهِ حُجَّةٌ بَعدَ الرُّسُلِ ﴾ [النساء: ١٦٥])) .

لا يقولوا ما بَعثْتَ إلينا رسلاً، ولا أنزلت إلينا كتباً، أمَّا بعد إرسال الرسل، وإنزال الكتب، والبيان من الرسل، ومن أتباعِ الرسل، لا حجة للناس على الله.

هنا لنا وقفة: هل إرسال الرسل وإنزال الكتب إنْ لم يكن هناك بَيان أو حَالَ بين بعض الناس وبين هذه الحجة، حجة الله في الأرض كتاب الله، وسُنَّة رسوله ﷺ، إنْ وُجدَت شُبَه حَالَتْ بينهم وبين فهم كتاب الله، أو بعبارة أخرى بينهم وبين فهم ما جاء به رسول الله ﷺ، هل يعذرون أم لا؟

﴿ وَأَنزَلْنَا إليكَ الذِّكرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إليهِم ﴾ [النحل: ٤٤] ﴿لِتُبيِّنَ﴾: لابدَّ مِن البيان، إذا بَيَّنَ الرسول ﷺ، وقد بَيَّنَ بالفعل بياناً شافياً، لكنْ حصل أحياناً شُبَه وضلالات حالَتْ بين النَّاسِ وبين فَهمِ ذلك البيان؛ كالَّذي حصلَ بعد أنْ نَشأَ عِلم الكلام بين المسلمين من عهد العباسيين وإلى يومنا هذا، الْتَبَسَ الأمر عند كثير مِن الناس في باب الأسماء والصفات، ثُمَّ دخلَ التَّصوف ووحدة الوجود بين المسلمين، والْتَبَسَ الأمر على كثير من الناس في باب العبادة، حصل خلطٌ وعدم التفريق بين حقِّ الله تعالى، وحقِّ رسوله ﷺ، وحقوق الصالحين، وانحرف كثيرٌ من الناس عن

الجادة في باب العقيدة، وفي باب العبادة، وفي باب الأحكام بسبب كثرة الشُّبهات حتى جهلوا حقيقة ما جاء به رسول الله ﷺ، هل هؤلاء يُعذَرون حتى يَتبيَّن لهم الحق؟ أو أنَّه يكفي مُجرد إرسال الرسل وإنزال الكتب، وإنْ حَصَل ما حَصَل مِن الشُّبَه التي حالَتْ بين كثير مِن النَّاس وبين فهم ما جاء به رسول الله ﷺ ؟

الذي يليق بِعَدْلِ الله تعالى، والذي فَهِمَهُ أهل التحقيق مِن علماء المسلمين: أنَّ مَن حصل له شيء مِن ذلك يُعذَر، أمَّا مَن تَبيَّن له الحقُّ، وتَبيَّن له الهدى، وأَبَى إلَّا أنْ يَتبِعَ غير سبيل المؤمنين بعد تبين الحقَ عناداً أو تعصباً لمألوفاته وتقاليده، هؤلاء لا يُعذَرون، وأمَّا قبل أنْ يَتبيَّن لهم الهدى، ويَحسَبون أنْ ما هم عليه هو الهدى؛ من الشِّرك والضَّلال ونفي الصفات، هؤلاء يُعذَرُون.

لمعرفة هذه النقطة المهمة عليكم أنْ ترجعوا إلى كتب شيخ الإسلام، أو إلى كتاب مختصر يَدُلُّكُم إلى المراجع من كتب شيخ الإسلام (كالقواعد المثلى) لأخينا الشيخ ابن عثيمين، بعد هذه المسألة، وذكر المراجع مِن كتب شيخ الإسلام لتتأكدوا من صحة هذا المذهب، وأنَّه المذهب الحقُّ إنْ شاء الله، وإنَّ النَّاس يُعذرون في أصول الدين وفروع الدين على حدٍ سواء مالم يتبين لهم الهدى، وَيَتَّبِعُوا بعد ذلك غير سبيل المؤمنين، والله أعلم .

لَخَّصْتُ كذلك هذا المعنى في كتاب (الصِّفات الإلهية) في الباب الخامس، يمكن الرجوع إليه لتنتقلوا منه إلى المراجع المذكورة هناك.

((وأوَّلهم نوح عليه السلام عليه السلام)) .

أول الرسل وهي مسألة خلافية، هل أولهم نوح أم آدم؟ الذي عليه أكثر أهل العلم أولهم نوح، لأنَّه إنَّما وَقَعَ الشِّرك في قومه، ولم يقع الشِّرك قبل ذلك، ولكنْ يؤكد على هذا بعض الأثار التي تُشير إلى أنَّ آدم نبيٌ رسول، وعلى كلٍّ الآثار التي جاءت في هذه المسألة تحتاج إلى مراجعة وإلى تحقيق.

فَلَنَمضِي الآن في طريقنا على هذا المنهج أنَّ:

((**أَوَّلهم نوح ﷺ، وآخرهم مُحمَّد ﷺ**)) وهو خاتم النَّبيين، مَن أَنْكَر كَونَه خاتم النبيين وادَّعى النُّبوَّة بعده سواءٌ لنفسهِ أو لغيرهِ فهو مُرتَدٌّ.

((**والدليل على أنَّ أولهم نوح ﷺ؛ قوله تعالى:** ﴿ **إِنَّا أَوحَينَا إِلَيكَ كَمَا أَوحَينَا إِلى نُوحٍ وَالنَّبيِّينَ مِنْ بَعدِهِ** ﴾ [النساء: ١٦٣])) هذه الآية التي استدلَّ بها المؤلف وقبله غير واحدٍ من أهل العلم يعترض بعضهم على دلالتها على المراد، وأنَّها ليست نصَّاً في أنَّ أوَّل الرسل نوح، ولكنَّها ظاهر.

فرق بين النَّص وبين الظَّاهر:

الظَّاهِرُ: ما يَحتمل معنيين.

والنَّص: ما لا يَحْتَمِل إلا معنى واحداً.

والآية ظاهرة ليست بنص في المسألة، والله أعلم.

((**وكُلُّ أُمَّةٍ بَعثَ اللهُ إليهم رَسولاً - مِن نُوح إلى مُحمَّد** عليهم الصلاة والسلام **- يَأمُرهُم بعبادة الله وحده، ويَنهَاهُم عن عبادة الطاغوت**)) .

أي يفتتح دعوته بالدعوة إلى عبادة الله، ما مِن نبيٍّ أُرسِلَ إلَّا وجعل مفتاح دعوته: ﴿اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمْ مِن إِلَهٍ غَيرُه ﴾ [الأعراف: ٥٩]، هذا مفتاح دعوة الرسل جميعاً.

((**والدليل قوله تعالى:** ﴿ **وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللهَ واجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ** ﴾ [النحل: ٣٦])) .

والآية تفسير معنى لا إله إلا الله، لأنَّه كما تقدَّم؛ لا إله إلا الله تفسيرها في القرآن ذُكِر، هناك عدة آيات منها هذه الآية، وإنْ كان بالنسبة لِنَظم كلمة التوحيد ليست على ترتيبها ولكن:

﴿ اعْبُدُوا اللَّهَ ﴾ يساوي إلا الله.

﴿ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ يساوي لا إله.

تأتي الآية بعد هذه على ترتيب لا إله إلا الله.

((وافترضَ اللهُ على جميعِ العبادِ الكُفر بالطاغوت، والإيمان بالله)) .

الإيمان بالله وحده ما لم يَكفُر الإنسان بالطواغيت لا ينفعه، ولا يُجديه، أي لابُدَّ مِن الجمع بين الكفر والإيمان كما جمعت كلمة التوحيد بينهما، كلمة التوحيد جمعت بين الكفر والإيمان، وإن شِئتَ بين النفي والإثبات.

لا إله: نفيٌ وكفرٌ بِمَا يُعبَد، وبِمَن يُعبَد مِن دُون الله.

إلَّا الله: إثباتُ العبادة لله وحده.

((قال ابن القيم - رحمه الله تعالى -: « معنى الطَّاغوت: الطَّاغوت: مَأخوذٌ مِن الطُّغيان، الطُّغيان مُجاوزة الحَدِّ، طَغَى المَاء، طغى فلان، أي تَجاوزَ حَدَّهُ، الطَّاغوت: كُلُّ ما تَجاوزَ به العبدُ حَدَّهُ مِن مَعبودٍ أو مَتبوعٍ أو مُطاعٍ)) .

حَدُّ العبدِ ما هو؟ عبادة الله وحده، لكونه عبداً يَعبُد رَبَّه الذي خَلَقَهُ، فإذا تجاوز هذا الحَدَّ، وصَرَف نوعاً مِن أنواع العبادة لغير الله تجاوز الحَدَّ، وصار ذلك طغياناً، مَن تَجاوزَ به هذا الحَدّ؛ مَتبوعٍ اتَّبَعَه في المعصية، في التحليل والتحريم، في تحليل ما

حَرَّم الله، وتحريم ما أَحَلّ الله، مَعبود عَبَدَه، تَذلَّلَ له، وخضع له، وأَحبَّه كما يُحبُّ الله، هذا المَعبُود، لأنَّ العبادة غاية الذُّلِّ مع غاية الحبِّ.

مَن أحبَّ غير الله مع الله، وخضعَ له، وتَذلّل له، عَبَدَ ذلك الغير، وتجاوز به حَدَّه، من هنا تعلمون؛ ليست العبادة مجرد الصلاة، والصيام، والزكاة، والحج، أي أركان الإسلام، العبادات أنواع، وحقيقتها غاية الذلِّ مع غاية الحبِّ، بما في ذلك الدعاء، لذلك صار الدعاء مخ العبادة، لأنَّ فيه تَذلُّل ورجاء وطمع، هذا المعنى هو العبادة.

المَتبوع مَن يُقلّده، ويتبعه، ويُحلّل له، ويُحرِّم له، كالَّذين يَتَّبعون الأحبار والرهبان.

وكذلك المطاع هما إمَّا مترادفان أو متقاربان، شخصٌ أطاعك في غير شريعة الله، أو مخالفاً بذلك شريعة الله في التحليل والتحريم، يقال له مُطاع، ويقال له مَتبوع هذا هو الطاغوت.

طبِّق هذا على واقع الناس تجد كثيراً وكثيراً جداً من الَّذين يُطاعون في نفي صفات الله تعالى، مِن الَّذين يُطاعون في عبادة غير الله، مِن الَّذين يطاعون في التحليل والتحريم، وفي الأحكام الدستورية ما أكثر ذلك، الَّذين يُطيعون ويَتبعون رجال التشريع، مَن سَمَّوهُم رجال التشريع!، التسمية نفسها جريمة، تسمية بني آدم أنَّهم رجال التشريع جريمة، المُشَرِّع هو الله وَحْدَه، والذي يُبلِّغ شريعة الله مُحمَّد ﷺ، ومَن قبله مِن الرسل، وأتباعه مُنفِّذُون ومُطبِّقون، الملوك والرؤساء والأمراء والعلماء منفذون ومطبقون، وليسوا بمشرعين، التشريع لله، ويُطلق على رسول الله ﷺ أنَّه مُشرِّع، ولكنَّ المُشرِّع الحقيقي هو الله، إنَّمَا يُطلَق على رسول الله ﷺ لأنَّ له الطاعة

المطلقة، قد يأتي بأحكام غير موجودة في القرآن، كتحريمه الحمر الأهلية يوم خيبر، وتحريمه الجمع بين المرأة وعمتها، والمرأة وخالتها، زيادة على ما في القرآن، له الطاعة المطلقة، بهذا الاعتبار يُطلق عليه أنَّه مُشرِّع ﷺ، أو باعتبار أنَّه مُبلِّغ عن الله؛ تشريع الله.

وإلَّا الْمشِّرع الحقيقي هو الله، وإطلاق رجال التشريع على أولئك الدكاترة الَّذين يتخرجون مِن كليات الحقوق؛ المستشار فلان من رجال التشريع! يا ليت شِعْرِي، ما يَخجَل هذا الإنسان عندما يقال له: أنت من رجال التشريع؟ أنت تشرع؟!

مِن أين لك التشريع؟ معنى ذلك: تجعل نفسك كأنَّك الله رب العالمين، أو رسول الله ﷺ، ليس لك حق في التشريع، و التَّسمية نفسها غلط مِن الجاهليات التي أَلِفَها كثيرٌ مِن النَّاس، فأصبحت مِن السُّهولة بمكان أنْ يُطلِقوا رجال التشريع على كثير مِن المُتعلِّمين الَّذين يَتَخرَّجُون مِن كُلِّيَّات الحقوق.

((والطواغيت كثيرة - وربما اليوم أكثر - ورؤسهم خمسة: إبليس لَعَنَه الله، ومَن عُبِدَ وهو راضٍ)) ومَن عُبِدَ وإنْ لم يدعُ النَّاس إلى عبادة نفسه ، لكنْ رأى النَّاس يَعبُدونَه فَرَضيَ واستراح إلى تلك العبادة، منصب كبير، النَّاس تسجد له، وتركع له، وتذبح له، وتَطيح على أقدامه خضوعاً وتذلُّلاً، استراح، كَبرَ رأسه ورَضيَ بذلك، هذا من الطواغيت.

أو **((من دَعَا النَّاس إلى عبادة نفسه))** يُزيِّن للنَّاس عبادة نفسه؛ فيقول: أنا مِن آل فلان، مِن آل البيت، وأنا كذا وكذا، ونحن لنا الحقّ بأنْ يُستغاث بنا، وتُجعَل لنا

النُّذور؛ هكذا يُزيِّنُون للنَّاس عبادة أنفسهم، والنَّاس عاطفيون في الغالب الكثير، الرجل الذي مِن آل البيت، وينتسب إلى بيت النبوة، خصوصاً في البلدان الأعجمية، بأدنى إشارة يُعبَد، إذا أشار إليهم أدنى إشارة إلى عبادة نفسه، والتذلُّل له، عَبَدُوه وبالَغوا فيه، ولو حاول أنْ يَتخلَّص بعد ذلك فقال: لا، يقولون: إنَّما يقول لا، مِن باب التواضع لأنَّه مِن المُتواضعين، ويزدادون في عبادته، هذا هو واقع كثير مِن النَّاس للأسف.

((ومن ادَّعى شيئاً مِن عِلمِ الغَيب)) كالكاهن، والعَرَّاف، والسَّاحر، والمُنجِّم، وصاحب الكَفِّ، وصاحب الفنجان، وصاحب الرَّمل والتُّراب الذين يكتبون ويخططون في الأرض في الرمل والتراب، ويُخبِر النَّاس عِلم الغيب مِن تلك الخطوط، ويقرأ في الفنجان، أنت لا ترى في الفنجان شيئاً، وهو يزعم أنَّه يَقرأ في هذا الفنجان الذي تشرب به القهوة، فيخبر منها الغيب، ويَنظر في الكفِّ فيَقرأ في الكفِّ، فيخبر الغيب، ويَدَّعي أنَّه يعرف مكان الضَّالَّة، الناقة التي ضَلَّتْ في المكان الفلاني، والسَّيَّارة التي سُرِقَت في الشعب الفلاني، في الكراج الفلاني، وهكذا، هؤلاء كُلُّهم كَفَرَة، ومِن الطَّواغيت، ومِن رؤساء الطواغيت، لأنَّهم كلَّهم زعموا أنَّهم يَعلمون الغيب، لذلك قال النبي ﷺ: « **مَنْ أَتَى كَاهِناً فَسَأَلَهُ فَصَدَّقَهُ فِي مَا يَقُول فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنزِلَ على مُحَمَّدٍ ﷺ** »[1] -أو كما قال-، لأنَّ الذي أُنزِل على محمد ﷺ هو القرآن، والقرآن يقول: ﴿ **قُلْ لَا يَعلَمُ مَنْ فِي السَّماواتِ وَالأَرضِ الغَيْبَ إِلَّا الله** ﴾ [النمل: ٦٥]، ومَن ادَّعى عِلم الغيب بأي وسيلة من الوسائل خصوصاً هذه الوسائل الوهمية التي لا حقيقة لها؛ كافر مرتد، ورئيس مِن رؤساء الطواغيت، ولكثرة انتشار هذه الأمور الجاهلية في صفوف المسلمين في كثير من الأقطار، يجب على طلاب العلم مكافحة ذلك، ودعوة النَّاس إلى الكُفر بهم.

(١) أخرجه أحمد في مسنده: ٩٥٣٦، وصحَّحه الألباني في السلسلة الصحيحة: ٣٣٨٧ .

مكافحة هؤلاء لا تقلُّ درجةٌ عن مكافحة المخدرات، بل مكافحة هؤلاء أشدّ وجوباً مِن مكافحة المخدرات التي تُخدِّرُ الأعصاب والأعضاء، هذه تُخدِّر الإيمان، وتُفسِد الإيمان، وَتُوقِع النَّاس في الكفر بالله تعالى، فلتكافح، والله المستعان.

مِنهُم ((مَن حَكَمَ بِغَيرِ ما أنْزَلَ اللهُ)) .

مَن حكم بغير ما أنزل الله: معتقداً أنَّ ذلك الَّذي حَكَم به مِثْل الذي أنزل الله أو أَحْسَن وأليق، وهذا يشمل أولئك الَّذين يَستوردون القوانين الوضعية مِن الخارج، ويَحكمون بها، ويشمل أولئك البدو الذين يحكمون بالسواليف والتقاليد في التحريم والتحليل، كلَّ ذلك داخل، مَن حَكَم بغير ما أنزل الله سواءً كان قانوناً مقنناً، أو سواليف وعادات وتقاليد موروثة، كلُّ مَن حَكَم في التحليل والتحريم بغير ما أنزل الله؛ مُعتقداً أنَّ ذلك مثل الذي أنزل الله، أو أحسن وأليق وأنسب للناس فهو كافرٌ مرتد من رؤساء الطواغيت.

وأمَّا **مَن حَكَم بغير ما أنزل الله:** مُعتقداً أنَّ ما أنزل الله أحسن وأحقّ، وأنَّه مُخطِئٌ عندما يحكم بغير ما أنزل الله، هذا كفره كفرٌ دون كفر، لا يَخرُج مِن المِلَّة، **مثل** الذي يعصي الله بمعاصي، بارتكاب المحرمات والكبائر، وهو غير مُستَحِل، كالَّذي يَسرق، والَّذي يَشرب، وهو يَعتقِد أنَّه عاصٍ ومخالف، لم يَستحِل السَّرقة والخمر، كُفْرُ هؤلاء: كفرٌ دون كفر.

ويذكرون قسماً ثالثاً:

وهو مَن اجتهدَ لِيَحكُم بما أنزل الله، وَلَكِنَّه وَقعَ في إصدار الحُكمِ بغير ما أنزل الله مجتهداً مخطأ، هذا له أجر الاجتهاد ويعفى له عن خطأه، والله أعلم.

هكذا ذكر أهل العلم عند هذه الآية: ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكُم بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فأُولئكَ هُمُ الكَافِرُونَ ﴾ [المائدة: ٤٤] ، وأقرب مرجع ترجعون إليه لتحقيق هذه المسألة (شرح الطحاوية) عند هذه الآية .

((والدليل قوله تعالى: ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشدُ مِن الغَيِّ ﴾ [البقرة:٢٥٦]))

معنى لا إكراه في الدِّين: ليس معنى ذلك أنَّك لا تَدْعُو إلى الدِّين.

لا إكراه في الدِّين: لا تُدخِل الدِّين على النَّاس بالإكراه، أنت عليك البيان، وعليك الهداية، وعليك الإرشاد، وأمَّا القلوب ما يَملكها إلا الله، لا تُدخِل الإيمان في قلوب الناس بالإكراه، لك الظاهر، تَدعو وتُبَيِّن الحقَّ من الباطل، هذه وظيفة الدعاة.

((﴿ فَمَنْ يَكْفُرْ بالطَّاغوتِ ويُؤمِنْ باللهِ فَقَد اسْتَمسَكَ بِالعُروَةِ الوُثقَى لا انْفِصَامَ لَهَا ﴾ [البقرة:٢٥٦])). هذه الآية العظيمة حتى في وضعها موضوعة على ترتيب لا إله إلا الله تماماً:

لأنَّ قوله تعالى: ﴿ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ ﴾ يقابل لا إله.

وقوله تعالى: ﴿ وَيُؤمِن بِاللهِ ﴾ يقابل إلا الله.

مِن أَدَقِّ الآيات في تفسير لا إله إلا الله هذه الآية، وهذا **معنى قول لا إله إلا الله**.

قال المصنف – رحمه الله تعالى -:

((وفي الحديث: « رَأسُ الأمرِ الإسلامُ » **))** الذي هو الاستسلام والانقياد كما تقدم.

((« وَعَمُودُهُ الصَّلاةُ » **))** لا يقوم الإسلام إلَّا بالصَّلاة، وإلا فهو بناءٌ غير قائم وغير ثابت.

في هذا المعنى يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: « **مَنْ تَرَكَ الصَّلاةَ فَلا حَظَّ لَهُ فِي الإسلامِ** »[1] ، وهو يُفسِّر قوله ﷺ: « **العَهدُ الَّذي بَينَنا وَبينَهُم الصَّلاة، فَمَنْ تَرَكَها فَقَدْ كَفَرَ** »[2].

يتهاون كثيرٌ وكثيرٌ من العوام بالصلاة بدعوى أنَّ الإيمان بالقلب، إذا دَعَوتَهُم إلى الصلاة يقولون: (ما عليش) الإيمان في القلب، لو صَحَّ إيمان القلب لَصَحَّ إِيمانُ الجوارح، وإِيمانُ اللسان، هذا هو الإرجاء المنتشر بين المسلمين.

الإرجاء معناه: تأخير الأعمال عن مُسمَّى الإِيمان، وأنَّ الإِيمانَ هو التَّصديق بالقلبِ فقط، أو التَّصدِيق والنُّطق معاً، هذا هو الإرجاء المنتشر بين المسلمين كثيراً وهم لا يشعرون.

---

(١) تعظيم قدر الصلاة الحديث رقم: ٩٢٣-٩٢٩ .

(٢) أخرجه الترمذي: ٢٦٢١، ابن ماجه: ١٠٧٩ ، والنسائي: ٤٦٣، وصَحَّحه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب: ٥٦٤ .

الإيمان: تصديق بالقلب، وذلك التصديق يحتاج إلى تصديق، والذي يُصدِّق ذلك التَّصديق هو النُّطق باللسان والعمل بالجوارح، يتكون الإيمان مِن كُلِّ ذلك.

((« وَذَرْوَةُ سَنَامِهِ الجِهادُ فِي سَبيلِ اللهِ »)) ذَروَة سَنامِه، أعلى مكاناً في الإسلام:

الجهاد في سبيل الله، لماذا؟ لأنَّ في الجهاد في سبيل الله يَقوى الإسلام، ويَظهر الإسلام، ويكتسب المؤمنون قوة ومنعة، وفي تَركِ الجهاد ضياع للإسلام، وضياع وضعف للمسلمين، وذِلَّة ومَهَانَة، وهذا ما وقع فيه المسلمون بعد أنْ تركوا الجهاد.

وربما جهل كثيرٌ مِن النَّاس معنى الجهاد أخيراً فَظنُّوا أنَّ كلَّ قِتال جهاد، الجهاد الذي هو ذروة سنام الإسلام: هو الجهاد لإعلاء كلمة الله، لإظهار دِين الله، وللمحافظة على دِين الله، والدفاع عن دِين الله، وعن عقيدة الإسلام، وشريعة الإسلام، **هذا هو الجهاد في سبيل الله**.

وفي الآونة الأخيرة كَثُرَ القتال، تصديقاً لخبر رسول الله ﷺ عندما أخبر عن أَمارَات الساعة: ﴿ **كَثْرَةُ الهَرْجِ** ﴾ قيل: وما الهَرْجُ يا رسول الله؟ قال: ﴿ **كَثْرَةُ القِتَالِ** ﴾[1]،

﴿ إذا وُضِعَ فيهم السَّيف لن يرفع إلى يوم القيامة ﴾[2].

تسمعون وتقرؤون اندلاع الحروب من مكان إلى مكان، كالنار تتنقل من هنا إلى هنا بين المسلمين على أتفه الأمور، يختلفون على شريط صغير في الحدود فيشتبكون سنوات تُرَاق الدِّماء.

(١) أخرجه البخاري: ٧٠٦١ ، ومسلم: ١٥٧ .

(٢) أخرجه أبو داود: ٤٢٥٢ ، والترمذي: ٢٢٠٢ ، وابن ماجه: ٣٩٥٢، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع: ٨٢٨ .

وأخيراً إنَّ كثيراً مِن المُنتسبين إلى الإسلام كفروا بالإسلام وأعلنوا أنَّهم علمانيون، ولعلَّ صغار طلبة العِلم لا يَعلمون معنى العلمانية.

العلمانية: عدم الإيمان بأيِّ دِين، التَّجرد عن الدِّين.

كَثُرَت العلمانية، وكثيراً ما يُنادون مُغالطةً أنَّهم يُجاهدون للإسلام وهم يقاتلون المسلمين، ويَقتُلون، ويحاولون القضاء على الإسلام لو استطاعوا، لكنَّهم يعملون أسلوب المغالطة، الجهاد في سبيل الله، والدفاع عن المسلمين، والدفاع عن الحرمين، مغالطة ما أفظعها، وما أكذبها، استغلوا السُّذَّج مِن الشَّباب فصاروا يُصفِّقون ويُؤيِّدون العلمانيين ضد المؤمنين.

العلمانيون الذين أعلنوا عن عَلمَانيَّتِهم، ويَعتزُّون بعَلمانيتَّهم، هؤلاء أشدُّ كفراً مِن اليهود والنصارى، فإذا كان الله جعل مُوالاة اليهود والنصارى، ومن يواليهم ويُحبّهم ويُناصِرهم أنَّه منهم، فما بَال الَّذين يُوالون العلمانيين والماركسيِّين والوثنيين، أشدّ، لأنَّ الله جعل لأهل الكتاب اعتبارات؛ احتراما لكتابهم الأوَّل وإنْ نُسِخ: يجوز للمسلم المحصنات مِن نسائهم، وإنْ كان الأفضل عدم العدول إلى نسائهم مع وجود المؤمنات، لكن جائز، أمَّا المُرتد، وأمَّا المجوسي وأمَّا الوَثَنِي، والهندوكي، والبُوذي، هؤلاء جميعاً والعلمانيون مِن المرتدين.

العلماني مُرتَد: لأنَّه كان مُسلِمَاً ثُمَّ اعتنق العلمانية، هذه المِلَّة الخبيثة أخبث مِن اليَهوديَّة والنَّصرانيَّة، مُناصرة هؤلاء أَشدّ كُفراً مِن مُناصرة اليهود والنصارى؛

يقول الله تعالى: ﴿ يا أيُّها الَّذينَ ءامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا اليَهُودَ والنَّصارَى أولياءَ بَعضُهُم أَولِيَاءُ بَعضٍ ومَنْ يَتَوَلَّهُم مِنْكُم فَإِنَّهُ مِنْهُم ﴾ [المائدة: ٥١].

الموالاة: المَحبَّة والمُناصَرَة.

مَن أحبَّ اليهود والنصارى وناصَرَهُم، وأَضمَرَ لهم الحُبَّ والوِدَّ كأولياء الله؛ يكفر، لأنَّه لا تجتمع مَحبَّة الله، ومَحبَّة أعداء الله، ولكن قال في الآخرين في الكفار:

﴿ يا أيُّها الَّذين ءامَنُوا لا تَتَّخِذُوا الكافرينَ أَولِياءَ مِن دُونِ المُؤمِنينَ ﴾ [النساء: ١٤٤] ، جميع الكفار كما قلت، هؤلاء العلمانيين أشدّ كُفراً من اليهود والنصارى، وموالاة الجميع غير جائزة، قد تصل إلى حَدِّ الكُفر، المُوالاة المُناصَرة.

مَن يناصر العلمانيين، ويُظاهِرُهم، ويُؤيِّدهم ضد المسلمين وضد المؤمنين، قد وَالَاهم، فصار منهم، كُلُّ مَن يُناصِر العلمانيين ويؤازرهم ويظاهرهم ضد المسلمين، ويُخرِّب بيوت المسلمين وأوطانهم، ولِيَعتَدوا على المسلمين، قد وَالَى هؤلاء الكفار، فلينتبه لنفسه، فكثير من المنتسبين إلى الإسلام وللأسف يُسمُّون أنفسهم بالإسلاميين أصبحوا في هذا الوقت في تناقض شديد، يتعاونون مع القوميين والشيوعيين لمناصرة العلمانيين ضد المؤمنين، كما تَسمَعُون في كثير مِن الأقطار مظاهرات من الذين يُسَمُّون أنفسهم بالإسلاميين، مُتعاونين مع القوميين والشيوعيين لِمُناصَرَة العلمانيين ضد المؤمنين، هؤلاء يَقَعُون في ورطة في إيمانهم مِن حيث لا يشعرون، لأنَّ مَحبَّتَهم أي العلمانيين، ومناصرتهم، ومؤازرتهم، ومعاونتهم على المؤمنين، وعلى الاعتداء على المؤمنين، على أرضهم وأعراضهم، كفرٌ بالله.

ننصح كثيراً مِن شبابنا في كلِّ مكان: الَّذين يَنخَدَعُون بالخُطب الرَّنَّانَة، وبتلك المظاهرات، وبأولئك الذين سَمَّوا أنفسهم بالإسلاميين !، وهم يُناصِرون العَلمانيين، نَنْصَحُهم بأنْ يَتُوبُوا إلى الله ويرجعوا مِن قريب، وإلا الموقف خطير؛ لستم بقادرين على الجهاد كما زعمتم، ولكنْ تُريدون أنْ تجعلوا الجهاد شعاراً ترفعونه ولستم بعاملين بشيء، ولكنْ تَضرُّون إيمانكم مِن حيث لا تشعرون، لذلك **نصيحتنا لهؤلاء:**

فليفهموا معنى الجهاد في سبيل الله، الجهاد في سبيل الله أنْ تَخرُج بنفسك ومالِك إن استطعت لنُصرَة الله، ولِنُصرَة دِين الله، بعد أنْ تفهم معنى الدِّين ومعنى الإسلام، وأمَّا على جهل، وأنت غير فاهم!، تَعلَّم أولاً: العِلم قبل القَول والعمل، حتى تعلم مَن المُجاهِد، وأين الحقّ، وأين الباطل، وكونك تصرخ مع كل مَن يصرخ وأنت لا تَدري أين الحقّ وأين الباطل؟ وما هو؟ وما هو الحقّ؟ وما هو الباطل؟ تُشرِّق وتُغرِّب وراء الناس، تجري ناسياً دِينك، وإيمانك، وموقفك بين يدي الله يوم القيامة، لا تَهلَك أيُّها الشَّاب، ارْجِع وتَعلَّم، واعرف الحقَّ مِن الباطل، ثمَّ جاهد في سبيل الله، وبالله التوفيق.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا مُحمَّد وعلى آله وصحبه.

❁ ❁ ❁

فهرس

